التعريف ببودلي وكتابه
" الرسول .حياة محمد "

هو المستشرق البريطاني R.V.C. BODLLY. التحق بالجيش البريطاني عام ١٩٠٨م، وتدرج في رتبه إلى أن وصل رتبة كولونيل. عمل في وحـــدة الجيش البريطاني بالعراق، ثم في شرقي الأردن عـــام ١٩٢٢م، ثم مستشـــاراً لسلطنة مسقط عام ١٩٢٤م.

كان أول من عبر الربع الخالي، وكشف عن أسراره المجهولة بين عـــامي ١٩٣٠-١٩٣١م.

عندما ترك الخدمة الحكومية ذهب ليعيش بين عرب الصـــحراء، لأنـــه -كما يقول في مقدمة كتابه- كان ضجراً من التعقيدات التافهة التي جاءت عقب الحرب العالمية الأولى، وبقي مع الأعراب سبع سنين، وسمع عن محمـــد الرجل الذي وحَّد حفنة من القبائل المتنافرة المتنافســـة، وجعلـــهم دعامـــة إمبراطورية من أعظم إمبراطوريات العالم قوة، وسمع عنه أنه الرجل ذو القلب الحار الذي حَوَّل الوثنيين وعبدة الأصنام إلى مؤمنين صادقين، يؤمنون بإلـــه واحد وباليقين وبالموت والبعث في الحياة الأخرى. هذا ما قالـــه في مقدمـــة كتابه: "الرسول".

لم أقتنع بتحليل بودلي وسبب مجيئه من عاصمة الضباب -لندن- ليعيش سبع سنين مع بدو الصحراء. والراجح عندي -والله أعلم- أنه كان يقـــوم بمهام استخباراتية استعمارية تنصيرية لمصلحة التاج البريطاني، وهي ظـــاهرة معروفة في الدوائر الاستشراقية والاستعمارية والتنصيرية.

والمثال الأول على هذه الظاهرة:

جون اسبنسر درمنجهام المستشرق البريطاني الذي أرسلته جمعيتان تنصيريتان بريطانيتان إلى إفريقية لدراسة مجتمعاتها الإسلامية وغيرها في إفريقية. وكان نتيجة عيشه وسط الشعوب الإفريقية كتابة مؤلفاته الكثيرة التي شملت معظم أنحاء إفريقية، أشهرها: الإسلام في غربي إفريقية، تاريخ الإسلام في غربي إفريقية، الإسلام في شمالي إفريقية، الإسلام في السودان، الإسلام في إثيوبيا، الإسلام في شرقي إفريقية، وأثر الإسلام في إفريقية. هذا ما كشفه لنا، أما التقارير السرية المبنية على دراساته المذكورة فذاك سر من أسرار المهنة لا يعطى إلا لمن انتدبه من أجله.

والمثال الثاني:

الرحالة والمستشرق الألماني زيتزن ZEETZEN، الذي انتحل شخصية طبيب مسلم يدعى الحاج موسى، وتظاهر بأداء الحج عام ١٨٠٩م.

والمثال الثالث:

المستشرق السويسري الأصل والبريطاني بالتجنس بوركهارت، الذي اختلف الكتاب في إسلامه: أحقيقي أم ادعاء؟، تسمى بإبراهيم عبدالله، وأدى مناسك الحج مع المسلمين عام ١٨١٤م.

والمثال الرابع:

الرحالة الإسباني المستشرق دومينغو بديا، الذي اتخذ اسم علي بك العباسي ليزور مكة عام ١٨٠٧م.

والمثال الخامس:

المستشرق الإنجليزي السير ريتشارد برتون (١٨٢١ـــ١٨٩٠م)، الذي انتحل شخصية طبيب مسلم ـــ الشيخ عبدالله.

والمثال السادس:

المستشرق الهولندي الشهير سنوك هرجرونيه (١٨٥٧- ١٩٣٦م)، الذي ادعى الإسلام، وتسمى بعبدالغفار عام ١٨٨٤م، ومكث بمكة خمسة شهور، ولكن انكشف أمره قبل أن يشهد الحج مع المسلمين في ذلك العام.

وعندما عاد بودلي من الصحراء، انقطع للدراسة والكتابة بصفة خاصة عن المنطقة التي عاش فيها. ومن مؤلفاته: "الرسول ـــ حياة محمد "، وهو موضوع بحثنا هذا، و " عاصفة في الصحراء"، [Wind in the Sahara]، و" دراما محمد الصحراوية ".

ترجم كتابه "الرسول.." إلى العربية: محمد محمد فرج وعبدالحميد جودة السحار، عام ١٩٤٥م، في ٤٣٩ صفحة مع مقدمتين، وطبعته الإنجليزية في ٣٥٥ صفحة. ويتكون من أربعة وعشرين فصلاً، وخاتمة. ذكر في الخاتمة شيئاً يسيراً عن سير الخلفاء الراشدين وزوجات النبي ﷺ وسراريه، وشرح بعض الكلمات الواردة في كتابه، مثل كلمة عبد وأبو وال وأمير وحج.. إلخ. وذكر في نهاية كتابه المراجع التي اعتمد عليها، وعددها ثمان وعشرون، ليس فيها من المراجع العربية سوى ثلاث ترجمات لمعاني القرآن الكريم، بأيدي مستشرقين، وعمل فهرساً للأعلام الوارد ذكرها في كتابه[1].

---

(١) من مصادر هذا التعريف: العقيقي، نجيب: المستشرقون (٥٢٩/٢)؛ نخبة من العلماء: الإسلام والمستشرقون؛ محمد سعيد السرحاني: موقف المستشرقين من العبادات في الإسلام من خلال دائرة المعارف الإسلامية ـــ رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الإمام، كلية الدعوة بالمدينة، قسم الاستشراق، ١٤٢٢هـ/١٤٢٣هـ، ص ٦٢١ـــ٦٢٤، نذير أحمد: الرسول في كتابات المستشرقين، ط٢، ص ١٧٥، ١٩٠، بودلي: الرسول، ص ١٠٧، ٣٥٦.

أهداف البحث:

لم يهتم مترجما كتاب بودلي بالتصحيح اللازم لأخطائه وشبهاته، لـذا كان لزاماً على أحد أبناء الأمة الإسلامية أن يقوم بالتصحيح اللازم، ودحض شبهاته ومزاعمه، التي تشوه سيرة الرسول ﷺ، وتخدم أهداف وأغراض أعداء الإسلام، ولا سيما أن الكتاب أصبح متداولاً بين الناس باللغتين: الإنجليزية والعربية. ومنه نسخة بالعربية وأخرى بالإنجليزية بمكتبة جامعة الملك سعود.

وقد نَوَّه بالأخطاء الكثيرة في هذا الكتاب مختصون في دراسة الظاهرة الاستشراقية، ومثاله ما جاء في كتاب: " الإسلام والمستشرقون" تأليف نخبة من العلماء، (ص ٢٣٠).

"ومن نماذج كتب المستشرقين المليئة بالأخطاء والشبهات في سيرة الرسول ﷺ كتاب المستشرق (ز. ف. بودلي)، الذي ترجم إلى العربية دون الاعتناء بإجراء التصحيح اللازم لأخطائه.." وما جاء في كتاب " المستشرقون" لنجيب العقيقي: ".. وقد آمن في مقدمة كتابه "الرسول" بسلامة العقيدة الإسلامية، وضلَّ من بعدُ في تفسير الزكاة والجنة والنار والقضاء والقدر".

ودراسة مثل هذا الكتاب تبصر طلاب الحقيقة من المستشرقين المنصفين بحقائق الإسلام ومناهج المغرضين من المستشرقين في تناول سيرة الرسول ﷺ. وتبصر أبناء الأمة الإسلامية الذين ينخدعون بكتابات المستشرقين ويعتمدون عليها في أبحاثهم عن الإسلام وتاريخه وحضارته.

المقدمة:

لا تخلو مقدمة بحث عن الاستشراق عامة أو عن مستشرق بعينه من ذكر أهداف الاستشراق ووسائله ودوافعه، المنحصرة في الأهداف والدوافع: الدينية والسياسية والاستعمارية والعلمية والتجارية والشخصية.

وتجنباً للتكرار، فالراجح عندي من خلال سيرة بودلي أن الأهداف السياسية هي التي جاءت به ليعيش مع بدو صحراء الحجاز، ليقدم لبلاده المعلومات الاستخباراتية التي تريدها؛ لرسم سياستها الاستعمارية في هذه المنطقة الاستراتيجية؛ وذلك بدليل أن كتابات بودلي لا تحمل الطابع العلمي في أدنى مستوياته، والذي نلحظه في كتابات المستشرقين الذين استقى منهم معلوماته عن سيرة النبي ﷺ؛ وبقائه تلك المدة الطويلة في البادية - سبع سنوات. لأن من يريد أن يكتب عن سيرة محمد ﷺ لا يحتاج إلى البقاء في مهد الإسلام هذه المدة، بل يحتاج إلى قضاء نحو خمس هذه المدة فقط، وقضاء أربعة الأخماس الباقية في المكتبات، حيث مصادر السيرة النبوية الأصلية.

إن علاقة مثل هذه الشخصيات التي تعد استشراقية بدوائر الاستعمار، من الظواهر البارزة في تاريخ الاستشراق. ولعل الدور الاستعماري لبودلي بالذات هو دراسة حياة الناس الذين يعيشون في هذه المنطقة وطبيعتهم وخصائصهم، وهل بالإمكان استعمارهم؟! ومعرفة الاتجاهات والحركات المناهضة للاستعمار في المناطق المجاورة في آسية وإفريقية.

أما تفكير بودلي في تأليف الكتب التي أشرنا إليها عن هذه المنطقة، فهو كما يبدو مشروع لاحق، فكّر فيه عندما رجع واستقر في بلاده، واستهوته شخصية محمد ﷺ التي وجد تأثيرها العميق في هذه المنطقة.

لقد اتبعت المنهج التحليلي في دراسة كتابه المذكور، إذ أوردت آراءه، ثم نقدتها في ضوء مصادر السيرة الأصلية. وإلى القارئ أبرز مزاعمه وأخطائه وتناقضاته وشبهه:

١- التشكيك في الوحي:

يزعم بودلي[١] أن محمدا ﷺ كان يعرف القراءة والكتابة، ثم يبني على هذا الزعم أن القرآن من تأليف محمد ﷺ. جاء هذا في معرض كلامه على عمه أبي لهب وزوجته أم جميل، إذ يقول عن النبي ﷺ: «ولم يكن في استطاعته أكثر مما احتمل، ففارقه طبعه الكريم، فلعن عمه وزوجته في صوت عال واضح النبرات، وأضاف إلى اللعن أن أم جميل ستحمل حطب الجحيم. وقد وصف الجحيم وصفاً مروعاً، وقد عنى كل ما قاله، وجاءت هذه اللعنة فيما بعد في سورة (١٠١) من القرآن: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [سورة المسد]. ولما كان العرب بطبعهم قوماً يتطيرون، ولما كانت لعنة محمد في غاية من الحبكة والبلاغة، فقد انسحب أبو لهب وأم جميل من مجلسه، فانسحب القرشيون في أثرهم.. »[٢].

وجاء ذلك في معرض كلامه عن عطف زوجته خديجة عليه في مراحل الوحي الأولى، فيقول: « .. وإن هذا العطف قد دفع محمداً فيما بعد أن يكتب هذه الآيات كجزءٍ من القرآن: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا

(١) الرسول، ص ٥٣.

(٢) المرجع نفسه، ص ٦٢.

وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [سورة الضحى: ١ـ١١][1].

وجاء في معرض كلامه على القرآن: "ولكَمْ حاسب نفسه لكي لا يكون في رسالته أثر لإنسان، فكان يفضل أن تكون الآيات التي يأتي فيها ذكر الله مبتدئة بـ ﴿قُلْ﴾"[2].

ويقول: ".. وقد كتب محمد في السورة الثانية، ثم في السورة الخامسة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة المائدة: ٦٩] "[3].

ويقول أثناء كلامه عما دار من لغط حول أحداث نتائج سرية عبدالله بن جحش – سرية نخلة –: ".. فلما هدأت الضجة الأولى، لجأ إلى شيء كان يفعله كلما وجد حرجاً، وهو أنه يوحى إليه، وأن هذا الوحي يحمل إليه رأي الله في الأمر الذي يقلق رسوله، قال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ الآية" [البقرة: ٢١٧][4].

---

(١) المرجع نفسه، ص ٥٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ٥٦.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٨٣.

(٤) المرجع نفسه، ص ١٣٧.

ويقول في تحليلاته لحديث الإفك: ".. وعرف محمد أنه الوحيد الــذي يلام، فإن الفضيحة ستستمر ما دام مترددا، فمن واجبه أن يحكم ببراءة عائشة أو إدانتها، فقام بعمل حاسم كما هي عادته في المعارك.."[1].

ويصور عقوبة الإفك بأنها تشريع من محمد، فيقول: "فلما انتــهى أمــر تنفيذ العقوبة التي شرعها الآن في حسان وحمنة ومسطح، وكــان مســطح صديقاً لأبي بكر[2]، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة"[3].

وقال عن مسألة حرمة الزواج من الوثنيات وجوازه من الكتابيات: "وأكد ذلك محمد في القرآن بقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ " [المائدة: ٥] [4].

ويقول في معرض كلامه على جمع القرآن: ".. فلما جمع زيد كل كلمة كتبها محمد.."[5]، و: "لقد عمل زيد بإخلاص لا يمكن تصوره حتى إنه لمـــا انتهى من نشر القرآن، كان الكتاب من عمل مؤلفـــه خالصـــاً، ومؤلفـــه فقط"[6]. ويعني بمؤلفه هنا الرسول محمد ﷺ.

---

(١) المرجع نفسه، ص ١٩٩.

(٢) لم يكن صديقاً لأبي بكر فحسب بل ابن بنت خالته.

(٣) المرجع السابق، الرسول، ص ٢٠٠.

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٠٤.

(٥) المرجع نفسه، ص ٢١٠.

(٦) المرجع والمكان نفساهما.

لولا كثرة ترديده مزاعم نسبة تأليف القرآن إلى الرسول ﷺ لقلنا إنه ربما يعني في هذه العبارة أن المؤلف المعني هنا هو الله سبحانه وتعالى.

وقال عند كلامه على غزوة تبوك: ".. وكان يعلق على أقوال هؤلاء الذين جاؤوا إليه يعتذرون في سخرية جارحة. قال للذين اعتذروا بحرارة شمس جزيرة العرب في الصيف: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ " [التوبة: ٨١] [١].

ويقول أثناء مزاعمه حول الإسراء والمعراج: "..وإن كل ما جاء فعلاً عن هذه الرحلة الإلهية على لسان محمد، هو ما ذكر في سورة الإسراء.."[٢].

ويقول عند تعرضه وتحليله لأحداث غزوة حنين: ".. فكتب في السورة التاسعة عشرة.."[٣].

ويقول في فصله الذي عقده عن القرآن: "وقد كتب محمد القرآن بمفرده، وقد استغرق ذلك منه ما يقرب من عشرين سنة.."[٤]. ويقول: "..وضع محمد قوانين محكمة للطلاق..وقد ختم ضرورة معاملة المطلقة معاملة عادلة: ففي السورة الثانية من القرآن نجد: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٍۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا﴾" [البقرة: ٢٢٩][٥].

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢٧٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٠٥.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٧٣.

(٤) المرجع نفسه، ص ٢١٩.

(٥) المرجع نفسه، ص ٢٠٤.

ويقول في أثناء كلامه على محمد ﷺ في قومه: ".. وقلما فكـــرت فيـــه كمؤلف للقرآن.."[1].

ومن أقواله الدالة كذلك على تشكيكه في الوحي، قوله عـــن القـــرآن الكريم عند تقديمه لكتابه هذا: ".. إنه انعكاس هذا الفكر الثاقب.."[2].

وحقيقة الوحي عنده مجرد احتمال، إذ يقول في معرض الكلام عن نقاط التشابه بين محمد وعيسى عليهما السلام: "فقد كانا يعتقدان اعتقاد اليقين أن الله يوحي إليهما، ومن المحتمل أن يكون ذلك صحيحاً"[3].

ويقول مرة عن موضوعات القرآن الكريم: ".. ربما كانت جميعها وحياً سماوياً"[4]. ويقول مرة أخرى عنها: ".. وإنها لتعطي فكرة عن نوع العقـــل الذي كان يتمتع به محمد، وإنها لتجعل المرء يعجب كيف عرف كل هـــذا، ومتى فكر في كل هذا، وأين تعلم نظم الشعر المرسل الرنان؟"[5].

وتلاحظ في هذه العبارة أنه يردد زعم كفار قريش بأن القرآن شعر، كما في الآيات ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥]. و: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ

---

(١) المرجع نفسه، ص ٣٠٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ٧.

(٣) المرجع نفسه، ص ٥٩.

(٤) المرجع نفسه، ص ٢١٨.

(٥) المرجع نفسه.

﴿مَجۡنُونِۭ﴾ [الصافات: ٣٦]. و: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]. وقد رد الله عليهم في هذا بقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ﴾ [الحاقة: ٤١]. و: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ﴾ [يس: ٦٩].

إن الزعم بأن محمدا ﷺ كان يعرف القراءة والكتابة، وأنه هو مؤلف القرآن الكريم، مما ردده كثير من المستشرقين. وواضح أن بودلي قد تأثر بأشد أساتذته تعصباً ضد الإسلام، وهو المنصر المستشرق هنري لامنس، الذي أفردنا له بحثاً عن افتراءاته على السيرة النبوية، وآخر عن افتراءاته على التاريخ الإسلامي.

والغريب في الأمر أن شيخه آرفنج لم يتعرض لمسألة معرفة محمد ﷺ القراءة والكتابة، وأن شيخه درمنجهم أقر بأن أبا طالب حين كفل محمداً بعد وفاة جده، لم يكن غنياً، وكذا لم يتح له تعليم الصبي الذي بقي أمياً طوال حياته[1].

وقبل أن نخوض في الكلام لدحض هذه المزاعم والافتراءات، نقرر حقيقة واضحة هي أن بودلي متناقض في مزاعمه مثل غيره من كثير من المستشرقين المغرضين، فهو يقول –مثلا– عن القرآن الكريم: ".. فبين أيدينا الآن كتاب معاصر، فريد في أصالته وفي سلامته، لم يشك في صحته كما أنزل أي شك جدِّي"[2]. ويقول: "إن ورقة بن نوفل قد مات قبل أن يبدأ محمد في تدوين

(١) درمنجهم، حياة محمد، ص٤٩.

(٢) الرسول، ص ٦، من التقديم.

ما أوحى به إليه جبريل، وقبل أن يبدأ محمد في تنسيق القرآن بكثير"[1].

ويقول في ثنايا كلامه عن المنافقين في غزوة تبوك: "فقد نزل الوحي يتبعه الوحي في القرآن"[2]. ويقول: "ينفرد محمد في تاريخ الديانات بأنه كان يوحى إليه جميع ما كان يفعله.."[3].

وعلى الرغم من تناقض بودلي في موقفه من القرآن الكريم، فهو يتهم القرآن بالتناقض حين قال عنه:".. فهو أحياناً غير فني، ويناقض نفسه.."[4].

فهو يردد هنا بلا وعي فرية أسلافه من مشركي مكة، ويهود المدينة. فقد جاء في كتب التفسير المعتمدة أن سبب نزول قول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦]. و:﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[النحل: ١٠١]، أن المشركين قالوا:ألا ترون محمداً، يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه، ويأمرهم بخلافه، ويقول اليوم قولاً يرجع عنه غداً. ما هذا إلا كلام محمد يقوله من تلقاء نفسه، وهو كلام يناقض بعضه بعضاً[5].

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢١٦.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٨٠.

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٠٤.

(٤) المرجع نفسه، ص ٧ من التقديم.

(٥) انظر: الواحدي، أسباب النزول، ط١، الحلبي، ١٩٥٩م، ج٢، ص ١٩–١٦١.

لا يخفى على أحد من طلاب العلم أن زعم بودلي وغيره من المستشرقين المغرضين بأن محمداً لم يكن أمياً، الغرض منه الوصول إلى الطعن في الوحي، أصل العقيدة والشريعة الإسلامية، أو التشكيك فيه، ومن ثم فتح الباب على مصراعيه ليقول من شاء إنه من وضع محمد وليس من الله.

إن أول من أثار هذه الفرية أو الزعم هم كفار مكة، الذين استخدموا شتى الوسائل والأساليب لمحاربة الرسول ﷺ، والتشكيك في رسالته وفي شخصه. وفي القرآن الكريم ردٌّ لكل مزاعمهم. ومما قاله سبحانه بشأن معرفة الرسول ﷺ القراءة والكتابة: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨-٤٩]. وتواترت أقوال المفسرين من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين على أن الله سبحانه وتعالى قد نفى عن نبيه محمد ﷺ صفة القراءة والكتابة في هذه الآية المحكمة[1].

ووصف الله سبحانه وتعالى رسوله ونبيه محمداً ﷺ بأنه أمي لا يعرف القراءة والكتابة، مثل ما جاء في قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم

(١) انظر هذا في تفسير هذه الآية عند الطبري في تفسيره، وابن كثير في تفسيره، والسيوطي في الدر المنثور، والواحدي في أسباب النـــزول، وغيرهم.

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الأعراف:١٥٧]. وفي قوله: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. ورويت أحاديث وآثار تدل على أمية الرسول ﷺ.

فمن الأحاديث، قوله ﷺ: "إذا أنتم صليتم عليَّ فقولوا: اللهم صلِّ على محمد النبي الأمي، وعلى آل محمد، .."[١]، وقوله: "أنا محمد النبي الأمي — قالها ثلاثاً — ولا نبي بعدي.."[٢]. ورحب به موسى عليه الصلاة والسلام في خبر الإسراء والمعراج، قائلاً له: "مرحباً بالنبي الأمي"[٣].

ومن الآثار المروية بهذا الشأن، قول علي رضي الله عنه: "والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إليّ ألاّ يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق"[٤].

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه روي أثر يدل على نفي أمية الرسول ﷺ، فرح

---

(١) أحمد: المسند (١١٩/٤) صححه شعيب الأرناؤوط ومن معه في تحقيق المسند برقم ١٧٠٧٢.

(٢) المصدر نفسه، (١٧٩/١١) برقم ٦٦٠٦ ضعفه شعيب الأرناؤوط ومن معه في تحقيق المسند لضعف ابن لهيعة وقوله "لا نبي بعدي" ثابت من رواية البخاري (٤٤١٦) ومسلم (١٥٨٣، ٢٤٠٤) قلت: أميّة النبي ﷺ ثابتة من غير طريق ابن لهيعة كما في هذا المبحث مما يدل على أن لحديث ابن لهيعة أصلاً.

(٣) المصدر نفسه، (٢٥٧/١) ضعفه محققو الموسوعة الحديثية، لأن في إسناده قابوساً وهو مختلف فيه، وباقي رجاله رجال الشيخين، وصحح ابن كثير إسناده في التفسير (٢٦/٥) وجلّه شواهد وصححه الضياء في المختارة برقم ٥٤٤، وورد في معنى هذا أحاديث عن أنس رضي الله عنه وغيره في الدّر المنثور (١٨٥/٥-٢١٣). وعند ابن حجر في الفتح (٢٠٨/٧-٢٠٩).

(٤) مسلم، (٨٦/١/ ح١٣١).

به المستشرقون والمتفيهقون، وهو من رواية ابن أبي شيبة وغيره، ولفظه: "ما مات رسول الله ﷺ حتى كتب وقرأ"، وهو أثر موضوع كما حققه الشيخ الألباني[1].

واستدل بعض العلماء بعبارات وردت في بعض أحداث السيرة النبوية، فسروها على غير حقيقتها، على أن الرسول ﷺ عرف الكتابة والقراءة في أواخر سني عمره. ولما لم يُثر بودلي هذه المسألة، فقد آثرنا عدم الخوض فيها. ونكتفي هنا بالإشارة إلى بعض الكتابات التي ردت عليهم، من ذلك كتاب الأستاذ علي شواخ إسحاق: "ماذا حول أمية الرسول ﷺ" وكتاب الدكتور قحطان عبدالرحمن بن علي: "الرد الشافي الوافر على من نفى أمية سيد الأوائل والأواخر".

أما الأدلة النقلية والعقلية التي تدحض مزاعم بودلي ومن دار في فلكه المتعلقة ببشرية القرآن الكريم فقد ذكرناها في بحثنا الآخر الموسوم بـ" افتراءات المستشرق هنري لامنس على السيرة النبوية".

٢- الزعم بأن زيد بن حارثة كان نصرانياً وقبيحاً، تأثر به محمد:

يقول بودلي[2]: "وكان زيد بن حارثة نصرانياً، اختطفه قريب لخديجة في غارة على الشام.. وكان زيد شديد السمرة، قبيح الشكل..".

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، (٥١٨/١) رقم ٣٤٣، طبعة مكتبة المعارف - الرياض ١٤١٢هـ.

(٢) الرسول - حياة محمد، ص ٥٠، ولفظه ص ٥٩: " فلما رأى زيد في مبادئ محمد نفس السمو الديني الذي في المسيحية، أعلن إيمانه وتصديقه لما جاء به الرجل الذي حرره ".

في هذا النص عدة مزاعم أو أخطاء تابع فيها بودلي غيره من المستشرقين استناداً إلى روايات لا تثبت أمام الحقائق التاريخية المقبولة. فهل كان زيد نصرانياً كما يزعم بودلي؟

لقد تبنى فرضية نصرانية زيد مستشرقون آخرون من قبل ومن بعد بودلي، أشهرهم كايتاني[1]، شيخ المستشرق الفرنسي المشهور هنري لامنس، الذي تبنى فرضية شيخه، ليزعم أن محمداً تأثر بزيد، أي أخذ عنه مبادئ النصرانية ليضيفها إلى مصادره المكونة لإسلامه[2]، والراجح عندي أن بودلي أخذ هذه الفرضية عن شيخه لامنس في كتابه: "جمهور مكة التجارية"، لأنه من بين مراجعه التي ذكرها.

ولمزيد من الأدلة على دوران فرضية نصرانية زيد في كتابات المستشرقين، اقرأ مادة زيد بن حارثة في دائرة المعارف الإسلامية - النسخة الإنجليزية القديمة[3] - بقلم المستشرق ف.قاكا.

وما يمكننا قوله باختصار شديد هو أنه لم تَرِدْ رواية قوية أو ضعيفة في مصادر تاريخنا الإسلامي الموثوقة تشير من قريب أو بعيد إلى أن زيداً كان نصرانياً[4]. ولا يعدو الأمر كونه فرضية استنتجها المستشرقون من الشواهد

---

(١) حوليات الإسلام (Annali p2 35) ، نقلا عن هنري لامنس: النصارى في مكة قبيل الهجرة، بحث منشور في مجلة المشرق البيروتية التنصيرية، السنة ٣٥ (عام ١٩٣٧م)، وهو من أواخر ما كتب، لأنه توفي عام ١٩٣٧م.

(٢) انظر: د. مهدي رزق الله أحمد: افتراءات المستشرق لامنس على السيرة النبوية.

(٣) ج٤/ ص ١١٩٤.

(٤) انظر: جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ): صفة الصفوة، ج١، تحقيق محمود فاخوري، ود.محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة، بيروت، ص٣٧٨.

التي تشير إلى وجود نصارى من قبيلة كلب التي ينتمي إليها والد زيد، ومن قبيلة طيئ التي تنتمي إليها والدة زيد[1].

وهل اختطف زيداً قريب لخديجة في غارة على الشام؟

المعروف في مصادر التاريخ الإسلامي الموثوقة أن سعدى بنت ثعلبة بن عامر، والدة زيد بن حارثة بن شرحبيل بن عبدالعزى بن امرئ القيس، زارت قومها وزيد معها، فأغارت خيل لبني القين بن جسر في الجاهلية على منازل بني معن، رهط سعدى، فاحتملوا زيداً وهو يومئذ غلام يافع، فوافوا به سوق عكاظ، فعرضوه للبيع، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد بأربعمائة درهم، فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له[2].

وهكذا تظهر لنا منهجية بودلي في التعامل مع حقائق تاريخنا الإسلامي والجهل أو التزييف واضحة في هذه المسألة، مما يغني عن الإطالة.

وهل كان زيد شديد السمرة قبيح الوجه كما يزعم بودلي؟!

تذكر مصادرنا الحديثية والتاريخية المعتمدة أنه لم يكن كما وصفه بودلي. فقد قال أبو داود[3]: وسمعت أحمد بن صالح يقول: كان أسامة بن زيد أسود شديد السواد مثل القار، وكان زيد والده أبيض من القطن. وفي رواية: كان

---

(١) انظر في هذا: الأب لويس شيخو اليسوعي: النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، القسم الأول في تاريخ النصرانية وقبائلها في عهد الجاهلية، طبع مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين في بيروت، ١٩١٢م، ص ١٣٠ـ١٥١.

(٢) انظر في هذا المصادر الآتية: ابن حجر: الإصابة (١/٥٦٣/رقم ٢٨٩٠)؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى (٤/٤٠)؛ ابن عبدالبر:الاستيعاب(١/٥٤٤)، ابن كثير:البداية والنهاية(/٤٤٨/ التركي).

(٣) السنن، تحقيق محيي الدين عبدالحميد (٢/٢٨٠ /ح٢٢٦٨ /كتاب الطلاق / باب: في القافة).

أسامة أسود وكان زيد أبيض[1].

وروى البخاري ومسلم[2]، من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: "إن رسول الله ﷺ دخل عليَّ مسروراً تبرق أسارير وجهه، فقال: "ألم تري إلى مُجزِّز نظر آنفا إلى زيد بن حارثة وأسامة بن زيد، فقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض"". وفي رواية: ".. ألم تري أن مجززاً المدلجي دخل عليَّ فرأى أسامة وزيداً وعليهما قطيفة قد غطيا رؤوسهما وبدت أقدامهما، فقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض"[3].

قال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: قال أبو داود: نقل أحمد بن صالح عن أهل النسب أنهم كانوا في الجاهلية يقدحون في نسب أسامة، لأنه كان أسود شديد السواد، وكان أبوه زيد أبيض من القطن، فلما قال القائف ما قال مع اختلاف اللون سر النبي ﷺ بذلك لكونه كافًّا لهم عن الطعن فيه لاعتقادهم ذلك.

وقد أخرج عبدالرزاق من طريق ابن سيرين أن أم أسامة، وهي أم أيمن مولاة النبي ﷺ كانت سوداء، فلهذا جاء أسامة أسود. وقد وقع في الصحيح عن ابن شهاب أن أم أيمن كانت حبشية وصيفة لعبدالله والد النبي ﷺ، ويقال كانت من سبي الحبشة الذين قدموا زمن الفيل، فصارت لعبدالمطلب، فوهبها

---

(١) برقم ٢٢٦٧، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٤٢٨).

(٢) البخاري مع الفتح (٢٥/١٨٧/رقم ٦٧٧٠/كتاب الفرائض /باب القائف)، ومسلم (٢/١٠٨١) رقم (١٤٥٩).

(٣) المصدر نفسه (٢٥/١٨٨/رقم ٦٧٧١/ك. الفرائض/ب.القائف).

لعبدالله، وتزوجت قبل زيد عبيد الحبشي، فولدت له أيمن، فكنيت به.. قال القاضي عياض: لو صح أن أم أيمن كانت سوداء لم ينكروا سواد ابنها أسامة، لأن السوداء قد تلد من الأبيض أسود. قلت - أي ابن حجر -: يحتمل أنها كانت صافية، فجاء أسامة شديد السواد، فوقع الإنكار لذلك[1].

قلت: فما دام قد ثبت أن أم أيمن كانت من أصل حبشي، فهذا يعني عدم استبعاد أن يكون سواد بشرة أحد أجدادها من جهة الأم أو الأب مثل سواد الحفيد أسامة. وهذا أمر ملاحظ ومعروف جداً في إفريقية، وبخاصة في المناطق التي اختلطت فيها أعراق العرب بأعراق الزنوج أو الحاميين الأفارقة، مثلما في السودان. وهذا من بدهيات علم الوراثة أو الجينات. وبذلك لا حجة لمن يستنكر شدة سواد بشرة أسامة.

إن الذي يهمنا من هذا كله أن زيداً لم يكن شديد السمرة قبيح الوجه كما يزعم بودلي وغيره، بل الذي كان شديد السمرة ابنه أسامة ﷺ، لأن أم أسامة ﷺ كانت حبشية. ويبدو أن بودلي اعتمد على أساتذته المستشرقين الذين اعتمدوا على رواية الواقدي عند ابن سعد[2]، حيث يقول: "وكان زيد رجلاً قصيراً آدم شديد الأدمة، في أنفه فطس". وربما أخذ هؤلاء رواية الواقدي بطريق غير مباشر، وبخاصة من ابن عبدالبر[3].

---

(١) وعن مسألة سواد أسامة وبياض والده وأمه انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء (٤٩٨/٢) و(٥٠٧/٢) ابن عساكر، التهذيب(٤٠١/٢)،.

(٢) الطبقات الكبرى (٤٤/٣).

(٣) انظر: ابن عبدالبر: الاستيعاب (٥٧/١).

والواقدي لا يحتج به، فهو "متروك مع سعة علمه" كما يقول ابن حجر في التقريب[1]. ومن العيب المنهجي الواضح الاحتجاج بالروايات الضعيفة جداً مع وجود الروايات الصحيحة.

ولو افترضنا جدلاً أن زيداً كان كما وصف بودلي وغيره استناداً إلى رواية الواقدي، فإن في هذا دليلاً من الأدلة الكثيرة على عظمة الرسول ﷺ الذي أحبه هو وابنه أسامة وهما بهذا الشكل. فقد عرف زيد بأنه حِبُّ رسول الله ﷺ وكذلك ابنه أسامة.

روى البخاري[2] ومسلم[3] وغيرهما[4] أن الرسول ﷺ عندما أمَّر أسامة على الجيش الذي أمر بتجهيزه في مرض وفاته، طعن بعض الناس في إمارته، فقال النبي ﷺ: "إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل [يعني عندما أمره على سرية مؤتة]، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده".

وآخى الرسول ﷺ بينه وبين عمه حمزة، وقدمه في الإمرة على ابن عمه جعفر في سرية مؤتة[5].

---

(١) تقريب التهذيب، ص ٤٩٨.

(٢) البخاري مع الفتح (١٤/٢٣٤/ك. مناقب الصحابة/ب.مناقب زيد بن حارثة/٣٧٣٠)، وانظر أحاديث البخاري الأخرى في هذا المعنى، مثل: ٣٧٣١، ٣٧٣٢، ٣٧٣٤، ٣٧٣٥، ٣٧٣٧.

(٣) صحيحه (٤/١٨٨٤/ك.فضائل الصحابة /ب.فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد رضي الله عنهما ٢٤٢٦).

(٤) انظر في هذا مثلاً: ابن سعد (٣/٢٣ـ٤٤)، من حديث ابن إسحاق، وفيه قول الرسول ﷺ لزيد "يا زيد أنت مولاي، ومني وإلي وأحب القوم إلي".

(٥) انظر: ابن كثير البداية (٦/٤٤٩)، والتفسير (٦/٣٧٧ـ٣٧٩، ٤١٩ـ٤٢٦).

٣- زعمه أن مراعي ديار بني سعد كانت خصبة ممتدة[١]:

إن هذا القول من بودلي ليس صحيحاً على إطلاقه، وذلك بدليل أن السنة التي قدمت فيها المرضعات البدويات إلى مكة وأخذت فيها حليمة السعدية محمداً ﷺ لترضعه، كانت سنة شهباء، كما قالت حليمة السعدية[٢] أي سنة جدب وقحط، لأن الأرض تكون فيها بيضاء. وقالت كذلك: "ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها". وكان من بركات الرسول ﷺ عليها — كما روت — أن أغنامها تجد ما تأكله من العشب فتشبع وتحلب كثيرا بينما أغنام الآخرين لا تجد ما تأكله، فترجع جوعى، وليس في ضرعها قطرة لبن لإنسان.

ففي هذا الخبر دليل على أن مراعي بني سعد لم تكن خصبة ممتدة كل عام كما يزعم بودلي، وبخاصة العام الذي قدم فيه الرسول ﷺ إليهم مسترضعاً.

ولأن بودلي وغيره من المستشرقين لا يؤمنون بالمعجزات والكرامات والبركات والخوارق[٣]، فنراهم لا يأبهون لها ولو ثبتت بنص قرآني.

---

(١) الرسول، ص ٢٩.

(٢) انظر روايتها عند ابن هشام في السيرة (٢١٤/١ — ٢١٦)، من حديث ابن إسحاق بإسنادٍ ضَعَّفه كثير من العلماء، ولكن له شواهد تقويه كما ذكرنا في كتابنا: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، الطبعة الأولى، ص ١١٢ — ١١٥.

(٣) انظر موقفه التشكيكي في المعجزات، ص ١٣ وص ١٦، من كتابه: الرسول، فهو يشكك في الإسراء والمعراج الثابت في القرآن الكريم وصحيح السنة المشرفة.

٤- زعمه تحرك غرائز الرسول ﷺ الجنسية في أواخر أيامه:

يزعم بودلي[1] أن غرائز الرسول ﷺ الجنسية كانت خامدة، ثم تحركت في أواخر أيامه. وهذا الزعم في أصله لشيخه إميل درمنجهم[2]، ونصه: "شعر محمد في العقد الأخير من عمره بميل كبير إلى النساء..".

يستنتج بودلي ومشايخه من المستشرقين[3] مثل هذه المزاعم من حقيقة تعدد زوجات الرسول ﷺ بعد وفاة خديجة رضي الله عنها، حيث كان عمره حينها خمسين عاماً. ولو كان هؤلاء موضوعيين أو منصفين لنظروا أولاً في سيرة كل واحدة من زوجاته والظروف والبواعث التي أحاطت بزواجه من كل واحدة منهن، قبل أن يروِّجوا لتلك المزاعم. وهذا ما فعلناه في كتابنا "السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية[4]".

وخلاصة ذلك:

(١) زواجه ﷺ من خديجة بنت خويلد رضي الله عنها:

إن أول ما يدركه الإنسان من هذا الزواج – كغيره – هو عدم اهتمام الرسول ﷺ بأسباب المتعة الجسدية، بدليل أنها كانت أكبر منه سناً بخمس عشرة سنة، ولم يتزوج عليها إلا بعد وفاتها عن خمس وستين سنة، وكان

(١) الرسول، ص ٣٨.

(٢) في كتابه: حياة محمد، ص ٢٩٩.

(٣) انظر في هذا: د. عبدالحليم محمود: أوروبا والإسلام، ص ١٢١.

(٤) ص ١٣٢ ــ ١٣٨، ص ٦٩٧ ــ ٧١٢، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ)، وانظر كذلك الطبعة الثانية (١٤٢٤هـ).

عمره حين وفاها خمسين عاماً، وكانت ثيباً عندما تزوجها، إذ تزوجت بعتيق ابن عائذ المخزومي فولدت له بنتاً، وتزوجت أبا هالة بن النباش ا لتميمي، فولدت له ابنها هنداً وبنتاً. وكانت هي التي سعت للزواج من الرسول ﷺ[1].

(٢) زواجه ﷺ من سودة بنت زمعة:

كانت من المؤمنات المهاجرات إلى الحبشة في سبيل الله مع زوجها السكران بن عمرو، الذي توفي عنها، فخشي النبي ﷺ أن يبطش بها قومها الكفار لعدم رضائهم بهجرتها، فتزوجها على الرغم من كبر سنها[2]، وعندما طعنت في السن، وذهبت حاجتها في الفراش، خشيت أن يطلقها الرسول ﷺ وتحرم بذلك من الحشر في أزواجه، وهبت ليلتها لعائشة رضي الله عنها[3].

(٣) زواجه ﷺ من عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما:

رأى رسول الله ﷺ في المنام - ورؤيا الأنبياء حق - أن رجلاً يحملها إليه في قطعة بيضاء من جيد الحرير، قائلاً: (هذه امرأتك)، فيكشف فيراها، فيقول: "إن كان هذا من عند الله يمضه. [4]" وكفى بهذا دليلاً على انتفاء

---

(١) ابن إسحاق: السير والمغازي، ص: ٢٤٥، ابن سعد: الطبقات (١٥/٨)، بأسانيد ضعيفة حديثياً وقبلها العلماء تاريخياً، منهم ابن حجر كما في الفتح (٢٨٧/١٤).

(٢) ابن إسحاق: المصدر نفسه، ص:٢٥٤، ابن سعد: نفسه (٥٣/٨)، ابن هشام (٩/٢)، بأسانيد ضعيفة حديثياً، فهي من الأخبار التاريخية التي قبلها العلماء أمثال ابن حجر كما في الإصابة (٥٩/٢) وابن عبدالبر كما في الاستيعاب (١٢٥/٢).

(٣) البخاري، برقم (٥٢١٢)، ومسلم، برقم (١٤٦٣)؛ وغيرهما.

(٤) البخاري، برقم (٥٠٧٨)، ومسلم، برقم (٢٤٣٨).

الشهوانية، ولم يتزوج بكراً غيرها[1]، وكان لوالدها دور كبير في نصرة الإسلام، فحرص الرسول ﷺ في مصاهرته لتوثيق عرى المحبة بينهما.

(٤) زواجه ﷺ من حفصة بنت عمر رضي الله عنهما:

تزوجها للحكمة ذاتها التي تزوج من أجلها عائشة وسودة رضي الله عنهما، وإضافة إلى رغبته في تخفيف حزنها لفقد زوجها خُنَيس بن حذافة البدري وصاحب الهجرتين[2]، الذي استشهد نتيجة جراح يوم أحد[3]، وحزن والدها لحزنها، فعرضها والدها عمر رضي الله عنه على صاحبيه أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما، فاعتذر الثاني وسكت الأول لعلمه برغبة النبي ﷺ في مواساتها بالاقتران بها[4]، وعندما طلقها الرسول ﷺ أتاه جبريل عليه السلام، وقال له: "راجع حفصة، فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة"[5].

(٥) زواجه ﷺ من زينب بنت خزيمة الهلالية رضي الله عنها:

قيل: إن زوجها عبيدة بن الحارث استشهد يوم بدر[6]، وقيل: إنه عبدالله ابن جحش الذي استشهد يوم أحد[7]، وكانت قبلهما تحت الطفيل بن

---

(١) البخاري، برقم (٥٠٧٧).

(٢) البخاري، برقم (٥١٢٢).

(٣) ابن حجر: الإصابة (٤٥٦/١)؛ ابن عبدالبر: الاستيعاب (٤٣٨/١).

(٤) البخاري، برقم (١٥٢٢)؛ أحمد: الفتح الرباني (١٣٠/٢٢)، بسند صحيح.

(٥) أحمد: الفتح الرباني (١٣١/٢٢)، من رواية الطبراني برجال الصحيح.

(٦) ابن سعد: الطبقات (١١٥/٨)، من طريق الواقدي.

(٧) ابن عبدالبر: الاستيعاب (٣١٣/٤)، معلقاً، ولم يعزه لأحد؛ ابن حجر: الإصابة (٣١٥/٤)، معلقاً، وقد جزم به.

الحارث بن عبدالمطلب، فطلقها[1]، وقيل: كانت عند جهم بن عمرو بن الحارث[2].

ودعيت في الجاهلية بأم المساكين لرحمتها بهم[3].

إن امرأة تعاقب عليها هذا العدد من الأزواج، وما عرف عنها من الصلاح والرأفة على المساكين، لجديرة بتكريم الرسول ﷺ لها بالزواج.

(٦) زواجه ﷺ من أم سلمة المخزومية رضي الله عنها:

كانت من شهيرات المجاهدات يوم أحد والحديبية، والمهاجرات إلى الحبشة والمدينة.

استشهد زوجها إثر إصابة يوم أحد، وترك لها أربعة من الذرية، فأراد الرسول ﷺ أن يواسيها بجبر مصابها ورعاية أيتامها.

(٧) زواجه ﷺ من جويرية بنت الحارث رضي الله عنهما:

كانت من بين سبايا غزوة بني المصطلق، وهي ابنة زعيم القوم الحارث ابن أبي ضرار، فتنازل له عنها من وقعت في سهمه، فأعتقها وتزوجها ترغيباً لأبيها وقومه في الإسلام، فكان أن جاء والدها مسلماً وأسلم معه قومه، وإكراماً لمصاهرة الرسول ﷺ قومها أعتق المسلمون سبي قومها.

(١) ابن سعد (١١٥/٨)، من حديث الواقدي؛ ابن بكار، ص:٤٩، ضعيف.

(٢) ابن إسحاق، معلقاً كما في سيرة ابن هشام (٣٩١/٤).

(٣) عن هجرتها إلى المدينة، ابن إسحاق، بسند حسن، كما عند ابن هشام (١٢٣/٢-١٢٤)؛ وعن زواجه بها على الرغم من اعتذارها بكثرة الصبية، انظر: مسلم، برقم (٩١٨، ٩١٩)، وغيره.

(٨) زواجه ﷺ من زينب بنت جحش رضي الله عنها:

هيَ ابنة أميمة، عمة الرسول ﷺ، زوجها الرسول ﷺ لمولاه زيد بن حارثة، الذي أعتقه وتبناه، وأراد الله سبحانه وتعالى أن يطلقها ليتزوجها النبي ﷺ لإبطال عادة التبني، ونزل في هذا قرآن كما في الآية: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [1] [الأحزاب:٣٧].

(٩) زواجه ﷺ من أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما:

هاجرت إلى الحبشة، فارتد زوجها هناك، فأراد الرسول ﷺ أن يكرمها لثباتها، ولكيلا يشمت بها الكفار، على رأسهم والدها، الذي كان يتزعم معارضة الدعوة الإسلامية بضراوة، وأراد ﷺ أن يكسر حدة عداوة والدها وقومه بني أمية[2].

(١٠) زواجه ﷺ من صفية بنت حيي بن أخطب النضيرية:

كان في زواجه منها ذات الحكمة في زواجه من جويرية رضي الله عنها؛ فهي ابنة زعيم يهودي، مات هو وزوجها وأخوها في صراعهم ضد الرسول ﷺ[3]، فكان لا بد من أن تكون من الصفي بإثر سقوط خيبر، ليتزوجها، فيكسر ذلك حدة عداوة اليهود، وإعطاء الدليل العملي على نفي تهمة العنصرية ضد اليهود.

---

(١) البخاري، برقم (٤٧٨٧).

(٢) انظر: أحمد، كما في الفتح الرباني (١٣٣/٢٢)، بسند جيد؛ ابن هشام (٣٨٩/٤)، بإسناد حسن.

(٣) انظر قصتها عند: البخاري، برقم (٤٢١١)؛ مسلم، برقم (١٣٦٥)؛ ابن سعد: الطبقات (١٢١/٨-١٢٣)، من حديث الواقدي.

(١١) زواجه ﷺ من ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها:

كان عمه العباس حريصاً على هذا الزواج، لمعرفته بتقواها، فهي أخت زوجته أم الفضل[١]، ومما يدل على تقواها قول ضرتها عائشة رضي الله عنها: "أما إنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم"[٢].

وفي الاقتران بمثلها تحبيب لقومها في الإسلام.

(١٢) تسرّيه ﷺ مارية القبطية:

أهداه إياها مقوقس مصر، فقبلها[٣] حرصاً على ترغيب القبط في الإسلام، وعندما ولدت له ابنه إبراهيم أعتقها، وقال في هذا: "أعتقها ولدها"[٤].

وأصبح هذا الحديث من أدلة الحكم الفقهي في أمهات الأولاد[٥].

(١٣) زواجه ﷺ من ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة:

قيل إنها من بني النضير، وقيل من قريظة، اصطفاها لنفسه فأعتقها وتزوجها[٦]. ويقال عن حكمة زواجه منها ما قلناه عن حكمة زواجه من صفية وجويرية ومارية.

إن هذا الإصهار من قبائل شتى وأعداء ألداء يحمل في طياته حكمة بالغة

---

(١) ابن عبدالبر: الاستيعاب (٤٠٧/٤)، مرسلاً.

(٢) ابن سعد: الطبقات (١٣٩/٨)، وصحح ابن حجر إسناده في الإصابة (٤١٣/٤).

(٣) ابن هشام (٢٤٧/١)، بإسناد يعتضد؛ ابن سعد (٢٦٠/١) من حديث الواقدي.

(٤) ابن ماجه، كتاب رقم ١٩، باب ٢٠، بسند يعتضد.

(٥) انظر: ابن قدامة: المغني (٥٢٧/٩ وما بعدها)؛ البيهقي: السنن الكبرى (٣٤٢/١٠-٣٤٩).

(٦) انظر: ابن حجر: الإصابة (٤/ ٣٠٩)؛ ابن عبدالبر: الاستيعاب (٣١٠/٤)؛ الواقدي: المغازي (٥٢١/٢)؛ ابن سعد: الطبقات (١٣٠/٨)، وكلها أخبار قبلها العلماء كابن حجر وابن عبدالبر.

يعرف قريباً منها المستشرقون من تاريخ ما عرف بالزواج الدبلوماسي في تاريخ الأسر المالكة في التاريخ الغربي وغيره.

٥- الزعم بأن النبي ﷺ كان فاشلاً في التجارة:

يزعم بودلي[١] أن الرسول ﷺ لم يكن من أمراء التجارة، وأنه كان فاشلاً فيها.

وينقض بودلي هذا الادعاء في مكان آخر من كتابه، فيقول:"عرف محمد بالأمانة والجد، فما تخطى الخامسة والعشرين من عمره حتى كان من أكبر تجار القوافل وأنشطهم غربي بلاد العرب، فعهد إليه كثيرون غير عمه بأمر تجارتهم.."[٢].

ويعتدل أحياناً فيقول: "ولم يجمع مالاً كثيراً لنفسه، فقد كان يعمل أجيراً، ويتقاضى نصيباً من الأرباح، وعلى الرغم من ذلك لم يصبح غنياً، وما أثرت المادة في نفسه.."[٣].

إن هذا التناقض في كلام بودلي يدل دلالة واضحة على عدم فهمه لطبيعة شخصية محمد ﷺ. فمن أول مفاتيح شخصية النبي محمد ﷺ التجارية هو أنه كان يكسب المال وينفقه في أوجه الخير؛ لأن روحه كانت فوق الماديات الأرضية، فهو غني النفس طوال حياته، حتى عندما فتح الله له أبواب الرزق من كل مكان..وقد جاءته الأموال من كل مكان من دولته، فكان يوزعها في

---

(١) الرسول، ص ٣٠٦.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٧.

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٨.

أبوابها الشرعية التي حددها الله سبحانه وتعالى على الفور. وقصته مع زوجاته في أمر الإنفاق مشهورة وثابتة بالقرآن وصحيح السنة، وسيأتي ذكرها إن شاء الله.

٦- يزعم أن أتباع محمد ﷺ كانوا في الغالب من التجار المخفقين[١]:

لم يكن أتباع محمد ﷺ كما يزعم، بدليل سير أصحابه الكبار الذين كانوا تجاراً، أمثال: أبي بكر وعثمان وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف. فمثلاً: أبوبكر رضي الله عنه كان تاجراً ناجحاً، ولكنه كذلك أنفق كل ماله في سبيل الله، كما هو مشهور معروف مذكور في المصادر التاريخية الموثوق بها. فهو الذي قال عنه الرسول ﷺ: "ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر"، فبكى أبوبكر رضي الله عنه عندما سمع هذا الحديث، وقال: "وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله"[٢]. وأعتق من ماله مجموعة من الأرقاء[٣] لوجه الله، منهم بلال[٤].

---

(١) المرجع نفسه، ص٦٠.

(٢) انظر في هذا: أحمد: المسند (٢/٢٥٣، ٢٦٦). قال محقق الموسوعة الحديثية ـــ المسند (١٢/ح٧٤٤٦): إسناده صحيح على شرط الشيخين.

أحمد فضائل الصحابة (١/٦٥ ح ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٢، وأسانيدها صحيحة أو حسنة كما ذكر المحقق وصي الله بن عباس).

(٣) انظر في هذا مثلاً: ابن هشام (١/٣٩٤)، من حديث ابن إسحاق، بدون إسناد، البلاذري: أنساب الأشراف (١/١٥٨، ١٩٠، ١٩٤، ١٩٦)؛ الحاكم: المستدرك (٢/٥٢٥)، وصححه الحاكم على شرط مسلم، وسكت عنه الذهبي.

(٤) رواه ابن أبي شيبة بإسناد صحيح كما قال ابن حجر في الفتح (٤/٥٤٨)؛ والبلاذري في أنساب

=

ومن المشهور الذي روي عنه أنه خرج بنفسه وكل ماله في سبيل الله عندما أراد الهجرة إلى المدينة[1]. وروي أن عائشة رضي الله عنها قالت: "فخرت بمال أبي في الجاهلية، وكان ألف ألف أوقية ــ وفيه ــ فقال النبي ﷺ: "اسكتي يا عائشة، فإني كنت لك كأبي زرع لأم زرع"[2]. وقال ابن حجر[3] في الإصابة:"وأخرج أبو داود في الزهد بسند صحيح عن هشام بن عروة، قال: أخبرني أبي، قال: أسلم أبوبكر وله أربعون ألف درهم، وقال عروة: وأخبرتني عائشة أنه مات وما ترك ديناراً ولا درهماً"، وقال يعقوب بن سفيان في تاريخه: حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا هشام عن أبيه: أسلم أبوبكر وله أربعون ألفاً فأنفقها في سبيل الله، وأعتق سبعة كلهم يعذب في الله، أعتق بلالاً، وعامر بن فهيرة، والنهدية وابنتها، وزنيرة، وجارية بني المؤمل، وأم عبيس.

والغريب أن بودلي[4] يناقض نفسه حين قال عن أبي بكر: إنه كان من أصحاب الملايين في مكة. ثم إن إميل درمنجهم[5] ــ أحد مراجع بودلي

= الأشراف (١٨٦/١) بإسناد جيد، وابن عبدالبر في الاستيعاب (٣٤/٢)بإسناد قوي كما قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣٥٣/١).

(١) أخرجه أحمد والطبراني بنحوه من حديث ابن إسحاق، وقال الهيثمي في المجمع (٥٩/٦): رجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع، فهذا يعني أنه حسن لذاته، وانظر ابن كثير: البداية والنهاية (١٧٩/٣).

(٢) انظره في السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، لمهدي، ط٢، فصل الشمائل.

(٣) الإصابة (٤/ ١٧١-١٧٢).

(٤) الرسول ص ٣٠٧.

(٥) حياة محمد، ص ٨٨.

الرئيسة - يقول إن أبابكر كان من ذوي الغنى واليسار بما قام به من التجارة.

وهكذا يتضح لنا أن بودلي يناقض نفسه في المسألة الواحدة وينتقي من مصادره المعلومات التي تساعده على فكرته، وهو منهج يتبعه كثيراً غلاة المستشرقين[1].

وكان عمر بن الخطاب ﷺ تاجراً ناجحاً، ولكن بعد إسلامه أصبح مضرب الأمثال في الزهد كذلك. فقد ثبت أنه أراد أن يسابق أبابكر في التصدق، عندما حثهم الرسول ﷺ على الصدقة، فجاء بنصف ماله للرسول ﷺ صدقة، وجاء أبوبكر بكل ماله، ولذا أقسم عمر ﷺ ألا يسابق أبابكر إلى شيء بعد هذا[2]. وتصدق بمائة أوقية لتجهيز جيش غزوة تبوك[3].

وكان عثمان بن عفان ﷺ تاجراً ناجحاً، ويكفي ما رواه البخاري[4] والترمذي[5] وغيرهما من أنه جهز جيش العسرة، جيش غزوة تبوك. وروى أحمد[6] والترمذي[7] والحاكم[8] أن رسول الله ﷺ قال عن عثمان في ذلك اليوم: "ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم"[9]. وأخباره في الإنفاق في سبيل

---

(١) انظر كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات الإسلامية.

(٢) الترمذي: السنن (٩/٧٧/٣٧٧٦، وقال: حسن صحيح، أبو داود: السنن (٢/٣١٣)؛ الحاكم (١/٤١٤).

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، (١/٤٠٨ ـ ٤٠٩) بإسناد ضعيف.

(٤) الفتح (١٤/١٩٤ ـ ١٩٥/ك. الفضائل /ب. مناقب عثمان ﷺ).

(٥) الألباني: صحيح سنن الترمذي (٣/٢٠٨/ح٢٩١٩، ٣٩٦٥).

(٦) المسند (٥/٦٣)، وحسن إسناده محققو الموسوعة الحديثية ـ المسند (٣٤/ح٢٠٦٣٠).

(٧) الألباني: صحيح سنن الترمذي (٣/٢٠٩/ح٢٩٢٠، ٣٩٦٧)، وحسنه الألباني.

(٨) المستدرك (٣/١٠٢)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٩) وانظر التفاصيل في المصادر المذكورة وغيرها.

الله وعلى أقاربه وأرحامه كثيرة، تجدها مبسوطة في كتب مناقب الصحابة التي أشرنا إليها في الحواشي، وذكرنا بعضها حين الكلام عن إنفاقه يوم تبوك في كتابنا السيرة النبوية..[1].

وكان طلحة بن عبيد الله ﷺ تاجراً ناجحاً، ولكنه أيضاً كان سخياً. ومن الأدلة على ذلك ما رواه أحمد[2] من أن طلحة باع أرضاً له [من عثمان][3] بسبعمائة ألف، فبات ليلة عنده ذلك المال، فبات أرقاً من مخافة ذلك المال حتى أصبح ففرقه.

روى ابن سعد[4] عدة آثار تدل على كثرة ماله وجوده وسخائه، كلها من طريق شيخه الواقدي، ما عدا الرواية المذكورة آنفاً، أي التي فيها أنه باع أرضاً له من عثمان بن عفان بسبعمائة ألف، ورواية أخرى من حديث الفضل بن دكين عن سفيان بن عيينة عن طلحة بن يحيى، قال: حدثتني جدتي سعدى بنت عوف المرية، قالت: دخلت على طلحة ذات يوم، فقلت: مالي أراك، أرابك شيء من أهلك فَنُعْتِبَ؟ قال: نعم، حليلة المرء أنت، ولكن عندي مال قد أهمني أو غمني، قالت: اقسمه. فدعا جاريته، فقال: ادخلي عليَّ قومي. فأخذ يقسمه، فسألتها: كم كان المال؟ فقالت: أربعمائة ألف[5].

---

(١) الطبعة الأولى، وفي الطبعة الثانية بعض الزيادات والتحقيقات (٢/١٩٢-١٩٤).

(٢) فضائل الصحابة (٢/٧٤٥/أثر رقم ١٢٩٣، بإسناد رجاله ثقات، وليس فيه سوى تدليس الحسن البصري، فهو ثقة فقيه مشهور، ولكنه كثير الإرسال والتدليس).

(٣) هذه الزيادة في رواية ابن سعد (٣/٢٢٠)، بإسناد رجاله ثقات، وليس فيه تدليس الحسن البصري.

(٤) الطبقات (٣/٢٢١ - ٢٢٢).

(٥) الطبقات (٣/٢٢٠)، بإسناد حسن لأن فيه طلحة بن يحيى، وهو صدوق.

وروى المحب الطبري[1] كذلك آثاراً في كثرة ماله وجوده، منـــها مـــا ذكرناه من مصادر أخرى، ومنها ما لم نذكره، فليراجع لزيادة الفائدة. ورحم الله من قال:

لولا المشقة ساد الناسُ كلُّهم الجود يُفْقر والإقدامُ قَتَّال.

وعرف بطلحة الخير وطلحة الفياض لكثرة إنفاقه في سبيل الله[2].

قال ابن عبدالبر[3]: إن طلحة اشترى مالاً بموضع يقال له بيسان، فقـــال رسول الله ﷺ ما أنت إلا فياض، فسمي الفياض.

وروى أبو نعيم[4] أن طلحة نحر جزوراً وحفر بئـــراً يـــوم ذي قـــرد، وسقاهم، فقال النبي ﷺ: يا طلحة الفياض، فسمي طلحة الفياض.

وروى المتقى الهندي[5] من حديث سلمة بن الأكوع ﷺ أن طلحة بـــن عبيد الله ابتاع بئراً بناحية الجبل، وأطعم الناس، فقال الرسول ﷺ: "يا طلحة الفياض"[6].

---

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة (٢٦١/٤ ـــ ٢٦٣).

(٢) ابن عبدالبر: الاستيعاب (٢١٩/٢/ ترجمة طلحة)، بهامش الإصابة لابن حجر.

(٣) المصدر نفسه والمكان نفسه.

(٤) معرفة الصحابة (٣٢٩/١/أثر ٣٧٣، تحقيق د. محمد راضي بن حاج عثمان، وخرجه المحقق من مصادر أخرى، وحكم على إسناده بالصحة؛ وانظر ابن أبي عاصم: كتاب السنة، ص ٦٠٠، ح١٤٠٤).

(٥) في منتخب كنـــز العمال في سنن الأقوال والأفعال، بهامش مسند الإمام أحمـــد (٦٧/٥)، وعـــزاه إلى الحسن ابن سفيان وأبي نعيم في المعرفة، وانظر كتاب السنة لابن أبي عاصم، ح١٤٠٣، ص ٥٩٩، وفيه أنه قال: إن النبي ﷺ سماه طلحة الخير، وفي غزوة ذات العشيرة سماه طلحة الفياض، ويوم حنين طلحـــة الجود، وقال ﷺ: من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على الأرض فلينظر إلى طلحة.

(٦) انظر هنا أيضا: الحاكم (٣٦٩/٣، ٣٧٧)، الطبراني: الكبير (٧٠/١)، ابـــن عســـاكر: التـــاريخ (٨ق، ص٢٨٣).

وروى ابن سعد[1] والطبراني[2] وابن عساكر[3] وأبو نعيم[4] من حديث قبيصة بن جابر، قال: "صحبت طلحة فما رأيت رجلاً أعطى لجزيل مال من غير مسالة منه".

وكان الزبير بن العوام تاجراً ناجحاً. قال ابن عبدالبر[5]: كان الزبير تاجراً مجدوداً[6] في التجارة، فقيل له يوماً: بم أدركت في التجارة ما أدركت؟ قال: لأني لم أشتر معيباً، و لم أرد ربحاً، والله يبارك لمن يشاء.

ويروى أنه كان له ألف مملوك يؤدون الخراج، ما يدخل بيته من خراجهم درهم[7].

وروى أبو نعيم[8] أن الزبير ترك أربع نسوة [حين استشهد يوم الجمل] فورثت كل امرأة منهن ربع الثمن ألف ألف درهم، وخلّف عشرين ولداً: عشرة ذكوراً، وعشرة إناثاً.

وكان كريماً جواداً، ينفق من ماله على أبناء أصحابه الذين يوصونه بهم،

---

(١) الطبقات (٣/٢٢١).

(٢) المعجم الكبير (١/٧٠)، بمثل رواية ابن سعد، وحسن الهيثمي في المجمع إسناده (٩/١٤٧).

(٣) تاريخ دمشق (٨/ق٢، ص٢٨٢).

(٤) معرفة الصحابة (١/٣٢٩/ح٣٧٤)، وإسناده حسن.

(٥) الاستيعاب (١/ ٥٨٣)، بدون إسناد.

(٦) مجدوداً: أي محظوظاً، و الجد: الحظ، والجديد: الحظيظ، فعيل بمعنى مفعول.

(٧) ابن عساكر: التاريخ (١/ق٢، ص ١٩٠، أبو نعيم: المعرفة (١/٣٥٧)، رقم ٤٣٧؛ ابن عبدالبر: الاستيعاب (١/٥٨٣)؛ ابن حجر: الإصابة (١/٥٢٧)، وإسناده حسن.)

(٨) المعرفة (١/٣٥٨/)

وممن أوصى إليه: عثمان والمقداد وابن مسعود وابن عوف ومطيع بن الأسود وأبو العاص بن الربيع[1]. ومن هؤلاء من كان من أثرياء تجار الصحابة، وهم: عثمان وابن عوف وأبو العاص بن الربيع.

وروى المحب الطبري[2] أن ابن إسحاق السبيعي قال: سألت أكثر من أربعين رجلاً من أصحاب النبي ﷺ: من كان أكرم الناس على عهد رسول الله ﷺ؟ قالوا: الزبير وعلي رضي الله عنهما.

وقصته في وفاء دينه وفيما وقع في تركته من البركة مذكور في صحيح البخاري[3].

وكان عبدالرحمن بن عوف تاجراً ناجحاً، فقد روى البخاري[4] أن الرسول ﷺ عندما آخى بين عبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، طلب ابن الربيع من ابن عوف أن يشاطره ماله، فرفض ابن عوف أخذ شيء من مال أخيه سعد، وطلب منه فقط أن يدله على سوق المدينة، فدله على سوق يهود بني قينقاع. فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن؛ ثم أخذ يتردد إلى السوق، يبيع ويشتري، حتى استغنى بماله عن مال أخيه سعد وغيره، وتزوج، وكثر ماله.

---

(١) ابن حجر: الإصابة (٥٤٦/١/ ترجمة الزبير).

(٢) الرياض النضرة (٢١٠/٤)، وقال: أخرجه الفضائلي.

(٣) مع الفتح (٢٠٨/٢ ــ ٢١٦/ رقم ٣١٢٩).

(٤) مع الفتح (١٣٣/١٢ــ١٣٤/رقم ٢٠٤٨)، فانظره بطوله هناك.

قال أبو عمر – ابن عبدالبر[1] –: "كان تــاجراً مجــدوداً في التجــارة، وكسب مالاً كثيراً، وخلف ألف بعير وثلاثة آلاف شاة ومائة فرس ترعــى بالبقيع.."، وروي أنه أعتق في يوم واحد ثلاثين عبداً[2]. وروى أبو عمــر[3] أثراً من حديث الإمام أحمد وغيره بأسانيدهم إلى أم المؤمنين أم سلمة رضــي الله عنهما، قالت: دخل عليَّ عبدالرحمن بن عوف، فقال: يا أمه، قد خفت أن يهلكني كثرة مالي، أنا أكثر قريش مالاً، قالت: يا بني: أنفق، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن من أصحابي من لا يراني بعد أن أفارقه.." الخبر.

ليت بودلي تابع إميل درمنجهم ــ شيخه ــ في إقراره بحذق ابن عوف التجارة وما ناله من ثراء[4].

وروى ابن أبي عاصم[5] بسنده إلى أبي هريرة ﷺ، قال: قال رســول الله ﷺ "خيركم خيركم لأهلي من بعدي، قال: فباع عبدالرحمن بــن عــوف حديقة بأربعمائة ألف، فقسمها في أزواج النبي ﷺ".

ورويت عنه أخبار كثيرة في الإنفاق في سبيل الله منها الضعيف والقوي، فقد روى الطبري[6] – مثلاً – عدة آثار، في بعضها أنه تصدق يوم تجهيــز

(١) الاستيعاب (٢/٣٩٦)، وسيأتي ذكر هذه الرواية من حديث الواقدي.

(٢) الاستيعاب (٢/٣٩٦).

(٣) المصدر نفسه (٢/٣٩٧ ــ ٣٩٨).

(٤) حياة محمد: ص ١٧٧.

(٥) كتاب السنة ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة، للألباني، ص ٦٠٢، الرقم ١٤١٤.

(٦) التفسير (٤/٣٨٢ــ٣٩١)، وانظر دراسة شاكر لأسانيد المرويات الواردة في تفسير الآية ٧٩ من سورة التوبة، وهي صالحة للاحتجاج بها بمجموع طرقها وشواهدها.

جيش تبوك بأربعين أوقية من ذهب، وفي بعضها مائة أوقية من ذهـــب، وفي بعضها أربعة آلاف دينار، وفي بعضها ألفي دينار، وفي بعضها أربعمائة أوقية، وفي بعضها أربعة آلاف درهم.

وروي أن الرسول ﷺ قال له: "تسمى في السماء أميناً، يسلطك الله على مالك بالحق"[1].

لا عجب أن يكون من هذا حاله مضرب الأمثال في الإنفاق. فهو الذي روى حديث الرسول ﷺ: " قال الشيطان لعنه الله: لن يسلم مني صـــاحب المال من إحدى ثلاث: أغدو عليه بهن، وأروح بهن، أخذه المال من غير حله وإنفاقه في غير حقه، وأحببه إليه فيمنعه من حقه"[2].

وروى ابن سعد[3] من حديث شيخه الواقدي أن عبدالرحمن أوصى أن يعطى من ماله في سبيل الله خمسين ألف دينار، وفي رواية ثانية لـــه - كمـــا سبق ذكرها - أنه ترك ألف بعير وثلاثة آلاف شاة بالبقيع ومائة فرس ترعى بالبقيع، وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضحاً، وكان يدخل قوت أهله من ذلك سنة[4]. وفي رواية ثالثة أن نصيب زوجته تماضر بنت الأصبغ كان مائة ألف.

---

(١) الطبراني: المعجم الكبير (٥/٢٢١)، ضعف محققه حمدي السلفي إسناده، قلت: يُستأنس به في فضـــائل الأعمال لورود روايات أخرى عند الطبري في تفسيره (١٠/ ١٩٤-١٩٨) وعند غيره قواها عبـــدالقادر السندي في الذهب المسبوك.... (١/٢١٣- ٢٢٣).

(٢) أبو نعيم الأصبهاني: المعرفة (١/٣٩٧/رقم ٤٩٦)؛ الطبراني: الكبير (١/٩٧)، وحسن الهيثمي إســـناده، كما في المجمع (١٠/٢٤٥).

(٣) الطبقات (٣/١٣٦).

(٤) وهذه الرواية عند ابن عبدالبر في الاستيعاب (٢/٣٩٦).

وروى ابن سعد[1]، من غير طريق الواقدي، أنه عندما توفي كان فيما ترك ذهب قطع بالفؤوس حتى مَجَلَتْ [أي كَلَّت] أيدي الرجال منه. وترك أربع نسوة، فأخرجت امرأة من ثمنها بثمانين ألف. وفي الرواية الثانية: أنه ترك ثلاث نسوة، فأصاب كل واحدة مما ترك ثمانون ألفاً ثمانون ألفاً.

كان هؤلاء التجار الذين ذكرناهم من أوائل السابقين إلى الإسلام في مكة، ويتضح من الأمثلة التي ذكرناها عن سيرهم أنهم كانوا من علية أغنياء الصحابة.ويعجب المرء أن يتابع بودلي أساتذته الذين يقلبون الحقائق، ويهمل الرجوع إلى مصادر الإسلام المشهورة المختلفة ويعتمد على دراسات المغرضين شيوخه المستشرقين. والروايات الضعيفة والقوية فيها تشير إلى أن ما ذكره بودلي يجافي الحقائق التاريخية والمنهجية العلمية في الدراسات التاريخية.

٧- يزعم بودلي أن غالب أصحاب النبي ﷺ كانوا كذلك من الساخطين على أوضاعهم[2]:

جاءت هذه الفرية مقرونة بالصفة المزعومة السابقة التي تناولناها. فنقول في دحضنا لهذا الزعم أو الفرية: إن المتتبع لسير أصحاب الرسول ﷺ، خاصة السابقين منهم إلى الإسلام، يلحظ عكس ما زعم بودلي. فقد كان أغلبهم من أبناء قريش وغيرها من قبائل العرب، لا كما يزعم بودلي وغيره من المستشرقين ومن تأثر بهم من الكتاب المسلمين أن غالبية أو معظم أصحاب

---

(١) الطبقات (٣/١٣٦ـ١٣٧).

(٢) الرسول، ص ٦٠.

الرسول ﷺ الأوائل كانوا من المستضعفين أو الموالي والأرقاء الساخطين على أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، فاعتنقوا الإسلام للتخلص منها.

قام الأستاذ صالح أحمد الشامي(١) بدراسة هذه المسألة، وخلص إحصائيا إلى أن من مجموع السبعة والستين الذين سبقوا إلى الإسلام، كان منهم ثلاثة عشر فقط من الموالي والأرقاء، أي نحو الخمس، وما كان كذلك لا يقال عنه "أغلبهم" أو "عامتهم". ثم إن السخط لم يكن دافعاً للموالي والأرقــاء في أن يسبقوا لاعتناق الإسلام، وذلك بدليل أن عدد الموالي والأرقاء في مكة كان أضعاف أضعاف عدد من سبقوا إلى الإسلام. وقد جعلهم لامنس(٢) ــ أحد مشايخ بودلي ــ جيشاً جراراً خاضت به قريش حروبها ضد المسلمين.

وخطأ بودلي المتكرر هو أنه لا يأخذ معلوماته عن المصــادر الأصــلية مباشرة، بل يأخذ عن أصحاب الأغراض والأهواء من أساتذته المستشــرقين كما قلنا أكثر من مرة.

٨- إهمال التنبيه على التفريــق بــين مرويــات الــروافض ومرويات أهل السنة في السيرة النبوية:

اعتمد بودلي(٣) على الزيادة التي أقحمها الروافض على خبر اجتماع الرسول ﷺ بشيوخ رهطه بني هاشــم، عندما نزل قول الله سبحانه وتعالى:

---

(١) أضواء على دراسة السيرة النبوية، ط١، ١٤١١هـ، ص٧٤.

(٢) انظر بحثه: الأحابيش والنظام العسكري في مكة زمن الهجرة، مجلة المشرق البيروتية اليسوعية التنصــيرية، السنة ٣٤، عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م.

(٣) الرسول، ص ٦٣.

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

إن مضمون الرواية الصحيحة أنه قال لهم: "من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون معي في الجنة، ويكون خليفتي في أهلي؟" فقال رجل: يا رسول الله، أنت كنت بحراً، فمن يقوم بهذا؟ وسكتوا جميعاً، فأعاد الرسول ﷺ القول، ولكن ظل القوم سكوتاً، وهنا خرج علي من صمته، وقال: أنا.

هذا هو القدر الذي رواه أئمة الحديث والمغازي والسير من عدة طرق، وعلى رأسهم الإمام أحمد[1] وابن إسحاق[2] والطبري[3].

أما الزيادة التي ذكرها بودلي على هذا الحديث، فهي: فلف محمد ذراعه حول ابن عمه، وقال: "فأنت..وصيي ووارثي وخليفتي من بعدي".

فهذه الزيادة المتعلقة بالوصية ووراثة الخلافة من بعده من مزاعم الروافض وافتراءاتهم على الرسول ﷺ. فهي من رواية عبدالغفار بن القاسم أبي مريم[4]، وهو متروك الحديث كذاب شيعي. اتهمه علي بن المديني[5] وغيره بوضع الحديث، وضعفه أئمة آخرون، يرحمهم الله.

فلو كان بودلي منصفاً لذكر الروايات المختلفة في الموضوع، ثم يرجح ما

---

(١) فضائل الصحابة (٢/٧١٢/رقم ١٢٢٠، وإسناده صحيح كما قال المحقق، و(٢/٦٥٠/رقم ١١٠٨)، بإسناد ضعيف).

(٢) السير والمغازي، ص ١٤٥ ــ ١٤٦، وإسناده منقطع، ووصله الطبري بإسناد ضعيف.

(٣) التفسير (١٩/٧٥)، من حديث ابن إسحاق المذكور آنفا بإسناد متصل ولكنه ضعيف كما قلنا.

(٤) انظر: ابن كثير: التفسير (٦/١٨٠).

(٥) انظر: الذهبي: ميزان الاعتدال (٢/٦٤٠ ــ ٦٤١).

يراه صواباً حسب قواعد المنهج العلمي في الترجيح والرد والقبول، بل كان عليه أن يتابع شيخه إميل درمنجهم، الذي استشهد بالرواية التي فيها: فوضع محمد يده على عنق الغلام علي، وقال: "هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم [أي بني عبدالمطلب]، فاسمعوا له وأطيعوا"(١).

٩- جَعْلُه عدد المهاجرين المسلمين إلى الحبشة مائتي شخص بزعامة عثمان بن عفان رضي الله عنهم، سنة ٦١٥م(٢).

وهذا خطأ تاريخي واضح، لأن المعروف أن عدد من هاجر من المسلمين إلى الحبشة في الهجرة الأولى كانوا اثني عشر رجلاً وأربع نسوة(٣)، وفي رواية ثانية أحد عشر رجلاً وأربع نسوة(٤)، وفي رواية ثالثة: عشرة رجال وأربع نسوة(٥). وكان عدد الذين هاجروا في الهجرة الثانية ثلاثة وثمانين رجلاً وتسع عشرة امرأة، سوى أبنائهم الذين خرجوا معهم صغاراً أو ولدوا بالحبشة(٦). وفي رواية: نحواً من ثمانين رجلاً، بدون ذكر النساء(٧). وفي رواية ثلاثة

---

(١) إميل درمنجهم: حياة محمد، ص ٩٢.

(٢) الرسول، ص ٦٧.

(٣) ابن سعد: الطبقات (٢٠٤/١)، من حديث الواقدي، وفيه جهالة عبيد الله بن عباس الهذلي، وإسناده مرسل. فالخبر ضعيف.

(٤) المصدر نفسه (٢٠٤/١)، من حديث الواقدي واختاره ابن القيم في الزاد (٢٣/٣).

(٥) ابن إسحاق: السير والمغازي، ص ٢٢٤، بلاغاً، ابن هشام (٣٩٩/١)، من حديث ابن إسحاق بلاغاً.

(٦) ابن هشام (٤٠٨/١)، من حديث ابن إسحاق بدون إسناد.

(٧) أحمد: المسند (٦/ ١٨٥/ ٤٤٠٠) وحسن شاكر إسناده؛ وجود إسناده ابن كثير في التاريخ

=

وثمانين رجلاً وإحدى عشرة امرأة قرشية وسبع غرائب[1]، وفي رواية نيفاً وثمانين رجلاً وست عشرة امرأة سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم، أو ولدوا بها[2].

وخلاصة الأمر أن عددهم لم يتعد المائة واثنين من الجنسين في الهجرة الثانية، وخمسة عشر رجلاً وامرأة في الهجرة الأولى، فكيف أوصلهم بودلي إلى مائتي شخص؟!!

والغريب أن شيخه آرفنج[3] يذكر أن عدد المهاجرين إلى الحبشة في الهجرة الثانية كان ثلاثة وثمانين رجلا وثماني عشرة من النساء غير الأطفال، وهذه رواية إمام المغازي محمد بن إسحاق عند ابن هشام.

فلا هو تابع شيخه آرفنج كعادته، ولا تابع المصادر التي أخذ عنها آرفنج، بل تابع تخميناته العشوائية!!

هكذا يكتب المستشرقون السيرة النبوية، ونتحمس لترجمتها إلى لغة القرآن دون التنبيه العلمي لما فيها من طامّات. وليتنا نشرناها بلغتها الأصلية - أي كتاباتهم - مع دحض مزاعمهم وتصحيح أخطائهم، وبيان فساد منهجهم في التأليف والاستدلال والفهم.

= (١٧٣/٤/تركي)؛ وحسن إسناده ابن حجر في الفتح (١٨٩/٧)؛ وحسن إسناده الدكتور التركي في تحقيقه تاريخ ابن كثير (١٧٣/٤/حاشية١)؛ وضعفه محققو الموسوعة الحديثية، المسند (٤٠٨/٧/برقم٤٤٠٠)، من أجل خديج بن معاوية.

(١) ابن سعد: الطبقات (٢٠٧/١)، من حديث الواقدي.

(٢) ابن إسحاق: السير والمغازي، ص ٢٢٨، بإسناد موقوف على يونس بن بكير.

(٣) محمد وخلفاؤه ن ص ٨٥.

١٠- ترديده فرية الغرانيق وبعض أخطائه التاريخية:

يردد بودلي قصة الغرانيق التي لا يكاد يخلو منها كتاب مستشرق[١]؛ فهو يقول عنها: ولكنه ـــ محمداً ﷺ ـــ على الرغم من تلميحه لهم ـــ أي كفار قريش ـــ يوماً أن اللات والعزى ومناة قد يُرجى نفعها مع الله، إلا أنه قد عاد ونقض ذلك، فقد فطن إلى أن الأمر الذي يضطلع به لا يقبل مساومة، وأنه لن يجد مخرجا سهلاً..[٢].

وقد دحضت هذه الفرية في كتابي: "السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية"[٣]، مما لا شك فيه أنه قد سبقني آخرون إلى هذا، أفدت منهم كثيراً على رأسهم الشيخ ناصر الدين الألباني ـــ يرحمه الله ـــ، الذي ألف فيها كتابه: "نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق".

يقول في معرض كلامه على هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة إن عبدالله بن أبي بكر وأخته عائشة أقبلا إلى غار ثور، حيث كان يستخفي الرسول ﷺ وأبو بكر، ومعهما راحلتان ودليل يثقون فيه[٤].

وهذا خطأ تاريخي، لأن المصادر التي بين أيدينا تذكر أن الذي أتاهما بالراحلتين في الغار هو الدليل عبدالله بن أريقط، وأتاهما في ذات اليوم عامر ابن فهيرة مولى أبي بكر؛ وتحرك الأربعة صوب المدينة[٥].

---

(١) انظر مثلاً، مونتجومري واط: محمد في مكة، ص ١٦٦ـــ١٧٧.

(٢) الرسول، ص ٧٣.

(٣) الطبعة الأولى، ص ١٩٩ ـــ ٢٠٥، والطبعة الثانية، ص ٢٢٥ ـــ ٢٣٤، ج١.

(٤) الرسول، ص ١٢٢.

(٥) انظر مثلاً: البخاري مع الفتح (١٥/٩٢-٩٣).

ثم إن عائشة رضي الله عنها لم يرد لها دور في الهجرة، لأنها كانت صغيرة السن حين ذاك، لم تتعد التاسعة من العمر[1]. فمن أين لبودلي هذه المعلومات المغلوطة؟! وأين المنهج العلمي هنا لتدوين التاريخ؟!.

١١- إضفاء صفات غير حقيقية على النبي ﷺ وكبار الصحابة (رضي الله عنهم):

ومثال ذلك وصفه أبا بكر وعمر وعليا رضي الله عنهم بأنهم كانوا أعراباً - بدواً - لم يثقفوا[2]. ويصف كذلك الرسول ﷺ بأنه كان أعرابياً[3].

ففيما يتعلق بوصفه الرسول ﷺ بأنه كان أعرابياً، يكفينا رده على نفسه حين يقول في مكان آخر من كتابه: إن محمداً لم يكن بدوياً[4]. وفي هذا دليل على تناقضه في كثير من أقواله، وقد وقفنا على بعضها سابقاً.

أما أبوبكر وعمر وعلي رضي الله عنهم فقد كانوا من أهل مكة، وهي من الحضر، و لم يعرف عنهم أنهم عاشوا في الصحراء مع البدو ولو لفترة قصيرة في أي مرحلة من مراحل حياتهم. ويقول بودلي نفسه عن مكة: وكانت مكة من أعظم بقاع تلك المنطقة حضارة، على الرغم من موقعها المنعزل، وجوها البغيض، وكانت تتمتع بكل الترف، فقد كانت صنوف الحرير والأقمشة والجواهر والعطور ترد إليها، فكان المكيون يحسبون أنهم في

---

(١) انظر مثلاً: البخاري مع الفتح (١٩/٢٢٨/٥١٣٣)، مسلم (٢/١٠٣٨ـ ١٠٩٣/ح١٤٢٢).

(٢) الرسول، ص ١١٨.

(٣) المرجع نفسه، ص١٣٤.

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٧٨.

نعيم مقيم، فما كانوا يرون من سبب لتبديد رخائهم[1]. ويصفها كذلك بأنها كانت من أعظم المراكز الدينية والتجارية في بلاد العرب.. إلخ من عبارات الإعجاب بثرائها وترفها[2].

وإذا كان أبوبكر ــ مثلاً ــ في نظره بدوياً، فلماذا يقول: إنه لم يألف حياة التقشف! وإنه من أصحاب الملايين في مكة[3]. إنه التناقض الذي يلازمه، فهو ينقض ما يثبته ولو بعد صفحة واحدة.

١٢- المبالغة في صفات بعض أزواج النبي ﷺ:

يقول بودلي[4] – مثلاً– عن أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنهما بالذات، إنها كانت جميلة، ويبدو هنا أنه أخذ معلوماته عن شيخه درمنجهم، الذي وصف حفصة رضي الله عنها بالجمال والحسن[5]. ولكن الحقيقة التي تذكرها مصادر السيرة هي أن حفصة لم تكن كما زعم بودلي وغيره، وتكفينا هنا شهادة أبيها عمر رضي الله عنه حين رآها تقف في صف عائشة رضي الله عنها في قصة اعتزال الرسول ﷺ زوجاته، فقال لها كما روى البخاري[6]: "يا بنية، لا يغرنك هذا التي أعجبها حسنها حبُّ رسول الله ﷺ إياها – يريد

(١) المرجع نفسه، ص ٣٠٦.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٠٦.

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٠٧.

(٤) الرسول، ص ١٥٦.

(٥) إميل درمنجهم: حياة محمد، ص ٢٩٩.

(٦) مع الفتح (١٨/٣٠٠/ح٤٩١٣/ك. التفسير /ب. تبتغي مرضاة أزواجك..).

عائشة رضي الله عنها". وقال في رواية مسلم[1]: "ولا يغرنك أن كانت جارتك ـ أي ضرتك ـ هي أوسم وأحب إلى رسول الله ﷺ منك - يريد عائشة". وفي لفظ إحدى روايات مسلم[2] زيادة، هي: ".. والله: لقد علمت أن رسول الله ﷺ لا يحبك. ولولا أنا لطلقك رسول الله ﷺ".

ويصف كذلك جميع زوجات النبي ﷺ بأهن كن جذابات جميلات[3]. ويناقض نفسه حين يقول عنهن: "وكان منهن خمس دميمات"[4]، ولم يوضح من منهن - في زعمه - كانت دميمة، ومن كانت جميلة جذابة.

ولا يخفى على العالمين بمناهج المستشرقين المغرضين ما يسعون إليه بكل وسيلة للانتقاص من الرسول ﷺ والتشكيك في صدق رسالته ونبوته. ومن ذلك تهمة تعدد الزوجات لأهداف حسية جسدية مادية أو شهوانية، ويريد بودلي هنا أن يعزز هذه الفرية بالكلام عن حسن أو جمال أو جاذبية زوجاته.

١٣- الزعم بأن حب الوحدة هو الغالب على حياته:

يزعم بودلي[5] أن محمداً كان في أغلب أوقاته يميل إلى الوحدة، ولما لم يتيسر له الفراغ لذلك لفقره عمل راعياً أجيراً.

والصواب أن عمله راعياً كان في صباه، وعندما بلغ مبلغ الرجال عمل

(١) صحيحه (١١١/٢، ١١٣/رقم ٣٤/ك. الطلاق /ب. الإيلاء..).

(٢) صحيحه (١١٠٦/٢/ح٣٠ من كتاب الطلاق /ب. الإيلاء).

(٣) الرسول، ص ١٧٥، ٢٠٧.

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٠٤.

(٥) المرجع نفسه، ص ٣٨.

بالتجارة. والميل إلى الوحدة في غار حراء كان قبيل البعثة، ولفترة محدودة، وليس في مرحلة الصبا التي مارس فيها الرعي، وعصمه الله من ممارسة اللهو الذي عرفه مجتمعه في زمانه، مثل الاستماع إلى الغناء[1]. ثم إن بودلي كعادته يقول كلاماً ثم ينقضه أحياناً في الصفحة نفسها، مثل ما حدث في هذا الزعم. فهو يقول مرة: إن محمداً كان ميالاً إلى معاشرة الناس[2]، ويقول مرة أخرى: "فإن نفسه لم تمل إلى فكرة اعتكاف الرجال وعزلتهم.."[3].

وهنا التناقض، كيف يكون ميالاً إلى معاشرة الناس وعدم الميل للاعتكاف والاعتزال وميالاً إلى الوحدة في أغلب أوقاته؟!

الثابت في مصادر السيرة النبوية أن الرسول ﷺ كان ميالاً إلى معاشرة الناس. وكان يحث على هذا، كما في مثل قوله ﷺ: "المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم"[4]. وفي مثل قوله: "المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس"[5]. وسيرة الرسول ﷺ كلها نموذج عملي لمعاشرة كل من حوله من الناس صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءً، بل ألفته

---

(١) الحاكم: المستدرك (٤/٢٥٤)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) الرسول، ص ٣٨.

(٣) المرجع نفسه، ص ٨٢.

(٤) أحمد: المسند (٢/ ٤٣)، وإسناده صحيح كما قال محققو الموسوعة الحديثية (٩/ح ٥٠٢٢). ابن ماجه: السنن (٢/١٣٣٨)، ورواه غيرهما.

(٥) السيوطي: الجامع الصغير (٢/١٨٤)، ط. الحلبي، القاهرة، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م. وقال السيوطي: "رواه الدارقطني، وهو صحيح ".

الحيوانات والنباتات والجمادات. وقد ذكرنا أمثلة لهذا كثيرة في الفصل الذي عقدناه عن معجزات الرسول ﷺ من كتابنا: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، الطبعة الثانية.

أبعد هذا يحق لبودلي وغيره أن يتهم حتى القرآن الكريم بالتناقض وفقدان خاصية الفنية فيه[1]؟!

١٤- الزعم بأن الإسلام تأثر باليهودية والنصرانية:

يزعم بودلي -وغيره من غلاة المستشرقين- أن الإسلام تأثر بالديانة اليهودية والنصرانية، عن طريق أشخاص بأعيانهم، ولفظه: ".. وأما حقيقة القوى النابتة في الديانتين القديمتين ظاهرة في كل وجه من وجوه الديانة الجديدة، فترجع إلى ما سمعه محمد في رحلاته، وتعود إلى تعاليم بحيرى وورقة ابن نوفل وقس بن ساعدة حبر نجران، . وحالة محمد هي حالة وثني تحوَّل إلى التوحيد، وقد امتص نظرياته وتطبيقاته من حلقات العابدين والإنصات إلى الوعاظ المرشدين، وما درس سطراً واحداً مكتوباً من كتاب مقدس"[2].

ويقول في مكان آخر من كتابه: ".. وكان معظم ما عرفه محمد عن التوراة والتلمود والإنجيل نتيجة محاوراته ورقة بن نوفل وما التقطته أذناه في رحلاته، وإن هذه المعلومات مجتمعة، لهي التي جعلت محمداً يشرد بذهنه أثناء عمله، ويتكاسل فوق راحلته.."[3].

ويقول: ".. وما نعلمه عن بداية المسيح جد قليل، ولكن هذه البداية

---

(١) الرسول، ص ٧.

(٢) الرسول، ص نفسه ٧٦.

(٣) المرجع نفسه، ٧٣.

تتشابه عموماً مع حالة محمد، فقد كان المسيح غلاماً ذكياً تعلم سريعاً، واحتمال حصوله على عمل في يسر، كما حدث لمحمد، احتمال كبير، فقد كان يتميز مثله بالروح الواعية، التي تنبت فيها الأفكار دون وعي. وقد بقيت هذه الأفكار نائمة سنين طويلة، كما حدث لمحمد، و لم تبد هذه الأفكار في جلاء لكلا الرجلين حتى ظهرا كأصحاب وحي، فأصبح من المتعذر على كل من محمد والمسيح التعرف على ذكرياتهما التي تطورت إلى أفكار جديدة. فقد كانا يعتقدان اعتقاد اليقين أن الله يوحي إليهما، ومن المحتمل أن يكون ذلك صحيحاً "[١].

ويقول في مكان آخر: ".. وقد اختلف محمد عن زملائه من التجار، فإنه بعد أن ينقضي يومه يقضي وقته في السوق أو في دار صديق، حيث يجتمع المغنون ورواة القصص والشعراء، ولطالما أنصت هناك إلى الفلاسفة ورجال الأديان يتلاحون في أمور دينهم وعقائدهم.."[٢].

ويقول عن لقاء النبي محمد ﷺ بالراهب بحيرى، عندما سافر مع عمه أبي طالب إلى الشام تاجراً وهو صغير: ".. فأخبر بحيرى محمداً بعقيدة عيسى، وسفه عبادة الأصنام، أرهف محمد إلى ما ينطق به الرجل، إذ كان غريباً يخالف ما نشأ عليه واعتقد فيه.."[٣].

ويعلق مترجما كتاب بودلي إلى العربية على هذا بقولهما: "يمهد المؤلف

---

(١) المرجع نفسه، ص٥٩.

(٢) المرجع نفسه، ٣٧ ــ ٣٨.

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٨.

بهذا لأن يقول في الفصول الأخيرة: إن محمداً قد تعلم من بحيرى ما جاء في القرآن من نصوص تتفق مع نصوص الكتاب المقدس، على الرغم من أن محمداً لم ير الكتاب المقدس، وإن هذا التعليل واه، فقد كان محمد في العاشرة من عمره[1]، ومن غير المعقول أن مقابلة واحدة بين بحيرى ومحمد ﷺوهو في سن العاشرة تترك كل هذا الأثر. وإن من حظ بحيرى أن قابل محمداً. فلولا هذه المقابلة لاندثر كما اندثر ملايين الرهبان قبله وبعده "[2].

أضيف هنا إلى ما قاله المترجمان: إنه لم ترد معلومات صحيحة أو غير صحيحة في مصادر السيرة النبوية تفيد بأن بحيرى أخبر محمداً بعقيدة عيسى أو سفه — أي بحيرى — عبادة الأصنام، فكل الذي ذكرته المصادر هو أن الراهب بحيرى عندما قال للرسول ﷺ: "يا غلام! أسألك بحق اللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك عنه"، قال له الرسول ﷺ: "لا تسألني باللات والعزى، فو الله ما أبغضت شيئاً بغضهما"[3].

إن فرية أَخْذ محمد ﷺ عن بحيرى متداولة في مؤلفات المستشرقين، ومن

(١) قال الشامي في " سبل الهدى والرشاد، " (١٨٨/٢): روى ابن سعد وابن عساكر عن داود بن الحصين أن عمره كان حينها اثنتي عشرة سنة، قال البلاذري [في أنساب الأشراف (٩٦/١)]: وهو التثبت. وانظر مثلاً — الرواية المشار إليها عند ابن سعد في الطبقات الكبرى (١٥٣/١).

(٢) بودلي: الرسول، ص ٣٤، حاشية المترجمين: محمد محمد فرج وعبدالحميد السحار.

(٣) ابن هشام (٢٣٨/١)، بدون إسناد، الترمذي: السنن (٢٥٠/٥/ح٣٦٢٤)، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٩١/٣) ما عدا ذكر أبي بكر وبلال الواردة في متنه، فهي عنده زيادة مدرجة منقطعة من حديث آخر وهماً من أحد رواته كما قال ابن حجر وغيره، ابن إسحاق: السير والمغازي، من ٧٥، بدون إسناد، الحاكم (٦١٥/٢) وصححه على شرط الشيخين، وحكم عليه الذهبي بالوضع لذكر أبي بكر وبلال في متنه. وانظر كتابنا: السيرة النبوية..

مراجع بودلي التي تناولتها بهذه الصورة: آرفنج، في كتابه: "حياة محمد "، ومما قاله بهذا الصدد: ".. وأعجب بحيرى كثيراً بعقلية الصبي محمد ورغبته في الاستزادة من العلم، وبخاصة في المسائل الدينية، وتبادل الراهب مع محمد الحديث في عدة مواضيع.. وينسب الكثيرون معلومات محمد عن الدين المسيحي إلى محادثاته مع ذلك الراهب، وقد لعبت هذه المعلومات دوراً كبيراً في حياة محمد فيما بعد"[١]. ومن أساتذة بودلي الذين روجوا لهذا الزعم هنري لامنس[٢].

وقد رددنا على لامنس في هذه الفرية في بحث مستقل، بعنوان: " افتراءات المستشرق لامنس على السيرة النبوية"، وأنه كله لا يعدو كونه تخمينات وافتراءات وتخرصات لا تسندها نصوص قوية أو ضعيفة.

ومن مراجعه كذلك في هذه الناحية تور أندريه (Tor Andree)[٣]، الذي يقول: ".. لاشك أن الأصول الكبرى للإسلام مستقاة من الديانتين اليهودية والمسيحية، وهذه لا يحتاج إثباتها إلى جهد كبير".

إن مزاعم بودلي بأن الرسول ﷺ تأثر برجال آخرين أمثال ورقة بن نوفل وقس بن ساعدة الإيادي والفلاسفة..إلخ فما ذكر فيما نقلناه عنه من نصوص، كلها مجرد استنتاجات باطلة لا تستند إلى حقائق تاريخية أو روايات

---

(١) واشنحطون آرفنج: حياة محمد، ص ٤٧ـ٤٨.

(٢) انظر كتابه الإسلام، عقائد ونظم، باللغة الإنجليزية، ث ٢٨؛ وانظر بحثنا: افتراءات المستشرق الفرنسي هنري لامنس على السيرة النبوية.

(٣) Andree , Tor: Mohammad ,the man and his Faith. (London-٢nd ed. Impression, 1956), pp. 10-26 .

صحيحة أو ضعيفة، ولذا يجب الإعراض عنها، فهي سمة بارزة مشـــتركة في كتابات المستشرقين من أصحاب الأهواء والأغراض، فهم يريدون أن يوهموا قراءهم بأن محمداً ﷺ ألّف القرآن وفق هذه المعطيات التي يوردونها[1].

ولا يفوتنا أن نذكر أن مزاعم استقاء أصول القرآن الكريم وتلقيها من الديانات السماوية وغير السماوية السابقة قال بها كفار قريش ويهود المدينة، وسجلها القرآن الكريم. ومثال ذلك قول الله سبحانه وتعالى في رده على كفار قريش: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل:١٠٣].

---

(١) ومن المستشرقين الذين زعموا تأثر الإسلام باليهودية والنصرانية:

Lewis. Bernard: The Arabs in History (London,1968, pp. 38-39.

ـــ جولد تسيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام، ص ١٣.

ـــ مونتجومري واط: محمد الـــنبي ورجـــل الدولـــة (Moh.Prophet and Statesman..، ص٣٩ـــ٤٦؛ بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية (١/٤٣، ٥٢ ـــ ٥٣، ٨٧).

Watt, Montogmry: The Islamic Revolution In the Modern World (EU p, 1969), pp. 190-191.
Watt, M.: Muhammed at Mecca (OUP.1951), pp. 65,93,103. Cambridge Histry of Islam (1/11,121,575,697. Anderson,J.N.D: The World Religions.. , pp. 7-8,56,58,59. Tritton ,A.S.: Islam - Beliefs and Practices,pp.18-19.)

١٥- الزعم باشتراك غير مسلمين في القتال مع المسلمين يوم بدر:

يزعم بودلي[١] بأن جماعة من غير المسلمين اشتركوا في القتال مع المسلمين ضد كفار قريش في معركة بدر الكبرى، وأنهم ما خرجوا إلا للسلب.

ومما يدل على بطلان هذا الزعم ما رواه مسلم[٢] من أن الرسول ﷺ قال لرجل مشرك أراد أن يشترك مع المسلمين في القتال يوم بدر: "ارجع فلن أستعين بمشرك"، قال له ذلك عندما عرض له في ثلاثة أماكن على الطريق إلى بدر. وعندما أقر الرجل بالإسلام قبله الرسول ﷺ. ورفض الرسول ﷺ كذلك الاستعانة باليهود المشركين يوم أحد[٣]، وقد أقر بودلي[٤] بهذا. علماً بأن رواية رفض الرسول ﷺ اشتراك المشرك الكافر يوم بدر وردت في الصحيح، ورواية رفض اشتراكه اليهود الكفار المشركين يوم أحد ليست في الصحيح!! كما تلحظ في حاشيتنا هنا. وهكذا يظل التناقض والجهل يلازمان بودلي في مزاعمه الكثيرة.

وقد أفرد الشيخ عبدالعزيز بن باز ــ يرحمه الله ــ نحو ست عشرة

---

(١) الرسول، ص ١٣٨.

(٢) صحيحه (١٤٤٩/٣ــ١٤٥٠/ح١٨١٧).

(٣) ابن سعد: الطبقات (٣٩/٢، ٤٨)، بإسناد يتقوى بالشواهد، مثل رواية الحاكم في المستدرك (١٢٢/٢)، والبيهقي في سننه (٣٧/٩)، والهيثمي في المجمع (٢٠٣/٦)، ورجاله ثقات ما عدا سعد بن المنذر، الذي ذكره ابن حبان في الثقات، وابن إسحاق بإسناد منقطع كما في سيرة ابن هشام (٦٣/٣)، والواقدي في المغازي (٢١٥/١ ــ ٢١٦).

(٤) الرسول ص ١٥٩

صفحة من كتابه: " نقد القومية العربية"، لبيان عدم جواز الاستعانة بالمشركين في الحرب. أما تجويزه لذلك في فتواه — مع غيره من العلماء الخاصة بتحرير الكويت، فهو من باب الضرورة التي تبيح المحظور. و لم نقف على رواية قوية أو ضعيفة تؤيد ما ذهب إليه بودلي في زعمه المذكور.

١٦- تزييف الحقائق التاريخية في سيرة هند بنت عتبة رضي الله عنها:

يزعم بودلي أن هند بنت عتبة، زوج أبي سفيان بن حرب، ووالدة معاوية رضي الله عنهم، كانت شهوانية، ولها عشاق، ورفضت أن يمسها أحدهم حتى تثأر لموت أبيها يوم بدر، وأنها لم تُسْلم، وماتت كافرة[١].

لم تذكر المصادر المعروفة المعتبرة هذه الصفة في هند بنت عتبة، لأنها كانت من الحرائر، ولها شرف في قومها، وكان زوجها زعيم قريش وقائدها في الحروب، وكان والدها عتبة وعمها شيبة ابنا ربيعة من سادة قريش وزعمائها، ولها موقف واضح من هذه الصفة المذمومة، وهو أنه عندما كان الرسول ﷺ يأخذ البيعة من النساء في اليوم الثاني من فتح مكة، وعندما قال ".. ولا تزنين"، قالت هند: وهل تزني الحرة[٢]؟!.

ولعل بودلي يشير في هذا الزعم إلى قصة طلاقها من الفاكه بن المغيرة المخزومي، حين اتهمها بأبي سفيان[٣]، يأتي ذكر هذا قريباً.

(١) المرجع نفسه، ص ١٥٧.

(٢) من رواية الطبري في التاريخ (٣/٦١ — ٦٢)، بلاغاً.

(٣) انظر: ابن حجر: الإصابة (٤/٢٩٦).

أما قوله إن هنداً لم تُسْلم وماتت كافرة، فلا أساس له من الصحة. فقد ذكرنا من رواية الطبري[1] أنها كانت ممن بايع الرسول ﷺ على الإسلام في اليوم الثاني لفتح مكة، وروى ذلك أيضاً ابن سعد[2].

وروى البخاري[3] ومسلم[4] وغيرهما[5] خبر مجيئها إلى النبي ﷺ وقولها له: "يا رسول الله، ما كان على ظهر الأرض أهل خباء أحبَّ إلي أن يذلوا من أهل خبائك، ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلي أن يعزوا من أهل خبائك..".

أما زعمه بأنه كان لها عشاق، فلم نقف على مصدر هذه المعلومة. والذي نرجحه أنه يشير هنا إلى حديث مسافر وهند، وخلاصته من رواية ابن حبيب[6] وأبي الفرج الأصفهاني[7] أن مسافر بن أبي عمرو كان يعشق هنداً بنت عتبة، فخطبها إلى أبيها بعد فراقها الفاكه بن المغيرة، فلم ترض ثروته وماله، فوفد على النعمان بن المنذر اللخمي ليستعينه على أمره. فبينما هو عند

---

(١) التاريخ (٣/٦١ ــ ٦٢)، بلاغاً. وانظر رأي ابن كثير في هذا الأثر، التفسير (٨/١٢٤).

(٢) الطبقات (٨/٩)، من مرسل الشعبي، بإسناد صحيح، كما قال ابن حجر في الفتح (٤/٤٢٥)، وعن ميمون بن مهران.

(٣) مع الفتح (٤/٢٩٦ ــ ٢٩٧/ح٣٨٢٥).

(٤) صحيحه (٣/١٣٣٩/ح١٧١٤).

(٥) ترجم لها ابن حجر في الإصابة (٤/٤٢٥ــ٤٢٦)، ولم يذكر خبراً يطعن في حسن إسلامها وموتها على الإسلام الصحيح، ابن سعد(٨/ ٢٣٦) من حديث الواقدي عن موسى بن عقبة، ومغازي ابن عقبة من أصح المغازي كما شهد العلماء، وهو من رجال الكتب الستة.

(٦) المنمق في أخبار قريش، ص ٤٦١ــ٤٦٢، تصحيح وتعليق خورشيد أحمد.

(٧) الأغاني، (٨/٤٩).

النعمان، بلغه خبر زواجها من أبي سفيان، فمرض من الغم، فاستسقى بطنه، فكوي، فمات في طريق عودته إلى مكة.

وواضح من هذه القصة أن عشق مسافر لهند لم يكن عشق فجور، بل عشق عذري يفضي إلى الزواج. وهو أمر لا تنكره الشرائع السماوية.

وفي قصة هند مع الفاكه بن المغيرة دليل على أنها لم تكن ممن يتخذ العشاق. وخلاصة القصة أن هنداً كانت زوجاً للفاكه بن المغيرة قبل أبي سفيان، فطلبت منه الطلاق حين اتهمها في شرفها، فتزوجها أبو سفيان بعد طلاقها[1].

إن اتخاذ النساء العشاق وممارسة البغاء في الجاهلية لم يكن من ممارسات الحرائر، بل من ممارسات الإماء، اللائي كن يُكْرهن أحياناً على البغاء كما ذكر الله في القرآن: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٣٣]. ولا يعدو هذا الكلام في هند سوى الإساءة إلى أحد رموز الإسلام، معاوية رضي الله عنه.

وأما زعمه بأن هنداً رفضت أن يمسها أحد عشاقها حتى تثأر لموت أبيها يوم بدر، فهو كذلك زعم باطل. إذ إن الذي تذكره المصادر أنها أقسمت ألا تبكي على أبيها وأخيها وعمها وبقية أهل بيتها الذين قتلوا ببدر، وألا تمس

(١) انظر القصة بتمامها عند ابن حبيب في المنمق، ص ١١٨ ــ ١٢١.

الدهن، ولا تقرب فراش زوجها، حتى تأخذ ثأرها من محمد وأصحابه[1].

فأين هذه الرواية من كلام بودلي؟! إنه التشويه المتعمد لحقائق التاريخ[2].

١٧- ويشوه سيرة والدة عمرو بن العاص ﷺ:

يزعم بودلي[3] أن والدة عمرو بن العاص رضي الله عنه كانت عاهرة في الجاهلية.

لقد أخذ بودلي هذا الزعم من شيخه درمنجهم[4]، واختصره وزاد فيه على الرغم من أن درمنجهم لم يذكر مصدراً أو مرجعاً لروايته هذه. أشار مترجم كتاب درمنجهم إلى العربية ـ زعيتر ـ إلى عدم الوقوف على مصدره. و لم نقف بدورنا على هذه الرواية في المصادر الموثوقة. ولا يعدو هدفه من هذا الزعم سوى الإساءة إلى أحد رموز الإسلام، عمرو بن العاص رضي الله عنه.

١٨- يزعم بودلي أن هنداً بنت عتبة رضي الله عنها وعدت وحشياً الحبشي بالعتق إن هو قتل حمزة بن عبدالمطلب[5].

الثابت في الصحيح أن الذي وعد وحشياً بالعتق إن هو قتل حمزة هو

---

(١) الواقدي: المغازي (١/١٢٤).

(٢) إن التشويه المتعمد لحقائق التاريخ سمة بارزة في كتابات المستشرقين المغرضين، وقد وقفنا على أمثلة كثيرة من هذا النوع من التشويه عند دراستنا لكتابات لامنس في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي. وتجدر الإشارة هنا إلى بحثنا الثاني عن لامنس بعنوان: " افتراءات المستشرق لامنس على التاريخ الإسلامي"، والذي فيه الكثير من الأمثلة.

(٣) الرسول، ص ٦٦.

(٤) حياة محمد، ص ٩٦.

(٥) الرسول، ص ١٥٧، ١٦٢.

مولاه جبير بن مطعم، ثأراً لعمه طعيمة بن عدي، الذي قتله حمزة بأمر من النبي ﷺ صبراً وهو في الأسر، حين العودة من غزوة بدر[١].

وفي رواية للواقدي[٢] أن التي وعدته بالحرية إن هو قتل حمزة، هي مولاته ابنة الحارث بن عامر بن نوفل، ويروي بصيغة التمريض، و بجملة اعتراضية، فيذكر:"ويقال كان جبير بن مطعم".وتقول هذه الرواية نفسها: إن وحشياً عندما أيقن بمقتل حمزة على يده، تذكر هنداً وما لقيت على أبيها وعمها وأخيها يوم بدر، فشق بطن حمزة، وأخرج كبده، وجاء بها إلى هند، وقال لها:ماذا لي إن قتلت قاتل أبيك؟ قالت:سَلَبي، فمد إليها كبد حمزة، فمضغتها، ثم لفظتها، ثم أعطته ثيابها وحليها، ووعدته بعشرة دنانير حين رجوعها إلى مكة، وطلبت منه أن يريها مصرع حمزة وجسده، ففعل، فمثلت به[٣].

و لم نقف على رواية تشير إلى أن هنداً وعدت وحشياً بالحرية إن هو قتل حمزة يوم بدر، ويبدو أن بودلي قد اعتمد على تخليط أحد أساتذته المستشرقين[٤].

(١) البخاري /الفتح (١٥/٢٤٥ ـ ٢٤٩/ح٤٠٧٢)، أحمد: الفتح الرباني (٢١/٥٩ ـ ٦٠)؛ ابن هشام (٣/١٠٢ ـ ١٠٥)، من حديث ابن إسحاق بسند البخاري وحديثه.

(٢) المغازي، (١/٢٨٥).

(٣) المصدر نفسه (١/٢٨٦).

(٤) وقد تكرر منه الفعل كما لاحظت وستلاحظ حتى نهاية هذه الدراسة، وهذا من أبرز أخطاء مناهج المستشرقين في الدراسات الإسلامية.

١٩- هل كانت مقاطعة الثلاثة الذين خُلفوا مدة شهر؟!

يزعم بودلي[١] أن مقاطعة الرسول ﷺ والمسلمين للمخلفين الثلاثة كعب ابن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، في غزوة تبوك كانت شهراً. والصواب أنها كانت خمسين ليلة كما في حديث كعب بن مالك رضي الله عنه الطويل عند البخاري[٢] ومسلم[٣] وغيرهما[٤].

٢٠- هل خضعت الطائف للإسلام بالطريقة التي صورها بودلي؟!

يزعم بودلي[٥] أن هناك سرايا أغارت على الطائف بعد رفع حصار المسلمين عنها، وأن الطائف سلمت للرسول ﷺ بعد حضور وفدها إلى النبي ﷺ، وبعد رفع الحصار عنها.

ولا أساس لهذا الزعم في مصادر السيرة المعروفة، فالرسول ﷺ رفع الحصار عن الطائف وعاد إلى المدينة عندما رأى عدم جدوى حصارها[٦]. ولم يرسل سرايا لتغير عليها بعد ذلك. وعندما جاءه وفد ثقيف معلناً الإسلام بعد نحو عام من رفع الحصار، وأرادوا أن يشترطوا على الرسول ﷺ شروطاً

---

(١) الرسول، ص ٢٨٠.

(٢) مع الفتح (٢٤١/١٦ ـ ٢٥٢/ح٤٤١٨).

(٣) صحيحه (٢١٢٠/٤ـ٢١٢٨/رقم ٢٧٩٦).

(٤) مثلاً: الواقدي: المغازي (١٠٥١/٣).

(٥) الرسول، ص ٢٨٠.

(٦) البخاري /الفتح (١٥٩/١٦ـ١٦٠/رقم ٤٣٢٥)؛مسلم (١٤٠٢/٣ـ١٤٠٣/رقم ١٧٧٨).

منها: إعفاؤهم من أداء الصلاة، بحجة عدم استساغتهم الركوع والسجود، ومن الوضوء بحجة أن بلادهم باردة الطقس، فلم يقبل، وقبل إعفاءهم من الزكاة والجهاد، وقال: "سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا"[1]. ولا توجد شروط تتعلق بتسليم الطائف. فقد تركهم الرسول ﷺ وشأنهم منذ أكثر من عام، وكل الشروط المذكورة في المصادر الإسلامية الموثوقة لم تتضمن مسألة تسليم الطائف.

ويزعم أن خسارة المسلمين في حصار الطائف، كانت مروعة، وأن الرسول ﷺ فقد بعضاً من أحسن قواده[2].

لم تكن خسارة المسلمين مروعة أيام حصار الطائف، لأن عدد شهداء المسلمين كان حينها اثني عشر رجلاً فقط[3]، و لم يفقد الرسول ﷺ بعضاً من أحسن قواده. فقد ذكر ابن إسحاق[4] أسماءهم، وليس من بينهم من عرف أنه كان من كبار قادته، ولكن أشهرهم عبدالله بن أبي بكر رضي الله عنهما، والسائب بن الحارث بن قيس بن عدي، وهما من السابقين إلى الإسلام[5]، ولكنهما لم يكونوا من أحسن القادة.

---

(١) أبو داود: السنن (١٤٦/٢)، بإسناد حسن؛ أحمد: المسند (١٦٨/٤)، قال الهيثمي في المجمع (٢٤٥/٤):رجاله ثقات؛ ابن هشام (٢٤٩/٤)، من حديث ابن إسحاق بإسناد معضل، ولكنْ له أصل.

(٢) الرسول، ص ٧٣.

(٣) أحمد: المسند (٢٣٦/١، ٢٤٣، ٢٤٨)، بإسناد ضعيف؛ ابن هشام (١٧٩/٤)؛ من حديث ابن إسحاق بدون إسناد؛ ابن سعد (١٥٩/٢، بدون إسناد، الواقدي (٩٣٢/٣).)

(٤) ابن هشام (١٨١/٤).

(٥) انظرهم في الإصابة (٢٨٣/٢) و (٨/٢).

٢١- هل حكم سعد بن معاذ بالإعدام على بني قريظة لتسببهم في جرحه؟

يزعم بودلي[١] أن سعد بن معاذ ﷺ حكم بإعدام يهود بني قريظة لأنهم تسببوا بطريق غير مباشر في جرحه.

يشير بودلي هنا إلى الجرح الذي أصاب سعداً أثناء حصار المشركين للمدينة في غزوة الخندق ـــ الأحزاب ـــ وكون بني قريظة تسببوا في جرحه بطريق غير مباشر فليس ببعيد عن الصواب[٢]، ولكن هل كان هذا سبباً وراء حكمه بإعدامهم؟! من الواضح أن هذا مجرد استنتاج من بودلي ومشايخه، لم تذكره مصادرنا المعتمدة على التحرير، بل ذكرت أن السبب نقضهم العهد الذي بينهم وبين المسلمين، وأرادوا حرب المسلمين مع الأحزاب[٣]. وهو حُكْمٌ حَكَمَ به الله عليهم قبل حكم سعد، وهو ما صرح به الرسول ﷺ عندما علق على حكم سعد، إذ قال: "قضيت بحكم الله تعالى"[٤].

وقد دعا سعدٌ الله ـــ حين أصيب ـــ بأن لا يميته حتى يقر عينيه من بني قريظة، لأنهم نقضوا العهد، وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية[٥]، ولعل الذي

(١) الرسول، ص ١٩١.

(٢) انظره عند: البخاري /الفتح (٥/٢٩٨/رقم ٤١٠١)؛مسلم (٣/١٣٨٨ ـــ ١٣٨٩/رقم ١٧٦٨).

(٣) انظر مثلاً: البخاري /الفتح (١٥/٢٩١/رقم ٤١١٣)؛مسلم (٤/١٩٧٩/رقم ٢٤١٥)؛ ابن هشام (٣/٣١٩ـــ٣٢٠)، من حديث ابن إسحاق، بدون إسناد؛ عبدالرزاق: المصنف (٥/٣٦٨)؛ مرسلاً، من حديث ابن المسيب، ومراسيله قوية؛ البيهقي: الدلائل (٣/٤٠٤ـــ ٤٠٥)، من رواية موسى بن عقبة عن الزهري مرسلاً؛ الواقدي: المغازي (٢/٤٨٠ـــ٤٨٣)، (١/٤٥٧).

(٤) البخاري /الفتح (١٥/٢٩٨/رقم ٤١٠١)؛ مسلم (٣/١٣٨٨ـــ١٣٨٩/رقم ١٧٦٨).

(٥) من رواية أحمد ـــ لحديث يزيد ـــ كما في الفتح الرباني (٢١/٨١ـــ٨٢)، وقال الساعاتي: أورده الحافظ

=

حمل بودلي على هذا الزعم، هو الأثر المروي عنه حين أصيب، وواضح بعد إيرادنا له أنه استنتج منه ذلك الزعم.

ويبدو أن بودلي قد تابع درمنجهم في هذا الاستنتاج، إذا يقول درمنجهم[1]: "وكان النبي يعلم أن سعداً الذي جرح في غزوة الخندق جرحاً خطراً، حاقد على اليهود كثيراً لما أدوا إليه من إيقاد تلك الغزوة".

٢٢- يزعم بودلي[2] أن أبابكر ﷺ رفض الزواج من حفصة رضي الله عنها، وكذلك عثمان ﷺ، والسبب واحد، وذلك عندما فاتحهما في هذا الأمر والدها عمر ﷺ إثر تأيمها من زوجها خُنَيس بن حذافة السهمي.

فالصواب أن عثمان ﷺ اعتذر عن زواج حفصة رضي الله عنها بحجة عدم حاجته في النساء في تلك الأيام التي توفيت فيها زوجته رقية بنت النبي ﷺ، وسكت أبوبكر لعلمه أن للرسول ﷺ رغبة في الاقتران بها لمواساتها، و لم يشأ إفشاء سر رسول الله ﷺ[3]. أهكذا تكتب حقائق السيرة النبوية؟!

ابن كثير في تاريخه، ثم قال: وهذا الحديث إسناده جيد، وله شواهد من وجوه كثيرة وفيه التصريح بدعاء سعد مرتين: مرة قبل حكمه في بني قريظة، ومرة بعد ذلك كما قلنا أولاً. ومن شواهده رواية أحمد من حديث جابر كما في الفتح الرباني (٢٨٣/٢١)، وأشار الساعاتي إلى رواية الترمذي بإسناد حسن صحيح كما قال الترمذي.

(١) حياة محمد، ص ٢٧٣.

(٢) الرسول، ص ١٥٥.

(٣) انظر البخاري /الفتح (٢١١/١٩ ــ ٢١٣/رقم ١٥٢٢)؛أحمد: الفتح الرباني (١٣٠/٢)، بإسناد صحيح

٢٣- زعم بودلي[١] أن الهدايا التي أرسلها هرقل - ملك الروم - إلى محمد ﷺ قد أرضته.

والذي وقفنا عليه في المصادر الأصلية أن هرقل عندما كتب إلى الرسول ﷺ رداً على رسالته إليه، قال: إني مسلم، وبعث إليه بدنانير، فقال رسول الله ﷺ: "كذب عدو الله، وهو على دين النصرانية"، وقسم الدنانير على المحتاجين[٢].

نعم كان الرسول ﷺ يقبل هدايا المشركين من أهل الكتاب ويرد هدية مشركي العرب[٣]. فأن يكون الرسول ﷺ قد قبل هدية هرقل أو قيصر الروم، فلا يستنكر، ولكن الذي يستنكر زعم بودلي بأنها أرضته. ولم يرد نص تاريخي يفيد بأن ذلك قد حدث.

٢٤- زعم بودلي[٤] أن الرسول ﷺ طلب من القبائل غير المسلمة الخروج معه إلى عمرة الحديبية.

يلحظ الناظر في الروايات المتعلقة بهذا الشأن أن الرسول ﷺ قد استنفر العرب ومن حول المدينة من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه مخافة أن

---

(١) الرسول، ص ٢٢٣.

(٢) ابن حبان: صحيحه، كما في موارد الظمآن، ح١٦٢٨، بإسناد صحيح، كما قال محقق زاد المعاد (١٢١/١)، ط. الرسالة؛ أبو عبيد: الأموال، ص ٢٥٥، بإسناد مرسل صحيح.

(٣) انظر في هذا: الشامي: سبل الهدى والرشاد (٤٨/٩-٥٣)، وانظر مصادره وتحقيق وتخريج المحقق للروايات الواردة عنده.

(٤) الرسول، ص ٢٢٤.

تعرض له قريش بحرب عن البيت الحرام. و لم تـــذكر الروايـــات أن الـــذين استنفرهم كانوا غير مسلمين[1]. وفي رواية الواقدي[2] أنه كان يمر بالأعراب فيما بين مكة والمدينة، فيستنفرهم، فيتشـــاغلون عنـــه بـــأموالهم وأبنـــائهم وذراريهم، ثم ذَكَرهم، وهم: بنو بكر ومزينة وجهينة. وواضح مـــن هـــذه الرواية، إذا سلمنا بصحتها، وهي ليست بصحيحة عند المحدثين؛ لأن إسنادها غير متصل، ومن رواية الواقدي المتروك مع سعة علمه، يستنتج منها أنه كان يعني المسلمين منهم، وذلك بدليل أن الرواية ذاها تذكر أن الرسول ﷺ عندما أصبح بالروحاء، لقي بها جماعة من بني نهد، معهم نعم وشاء، فـــدعاهم إلى الإسلام، فلم يستجيبوا له وانقطعوا من الإسلام، وعندما أهدوا إليه لبنـــاً لم يقبله منهم، وقال: "لا أقبل هدية مشرك"، وابتاع منهم[3]. فكيف يجوز عقلاً أن يرفض هديتهم ويقبل خروجهم معه؟ وقد بينا في مكان سابق من هـــذا البحث أن الرسول ﷺ رفض في كل المناسبات أن يســـتعين بالمشـــركين في الحرب، وكان مستعداً للحرب إذا فرضت عليه في تلك السفرة.

ثم إن الروايات تشير إلى أن من خرج معه من الأعراب كانوا قليلين. وأوضح دليل على أن كل من خرج معه من المدينة أو لحق به من الأعراب كانوا مسلمين هو ما جاء في خبر بيعة الرضوان. فقد جاء في القرآن الكريم

---

(١) انظر مثلاً: ابن هشام (٤٢٧/٣)، بدون إسناد؛ ابن سعد (٩٥/٢)، بدون إسناد، وعنده أنـــه اســـتنفر أصحابه، الواقدي (٥٧٢/٢)، من حديث جمع غفير من شيوخه، وعنده استنفر أصحابه إلى العمرة.

(٢) المغازي، (٥٧٤/٢).

(٣) المصدر نفسه (٥٧٥/٢).

أن الله سبحانه وتعالى قد رضي عنهم لاستعدادهم للجهاد مع الرسول ﷺ ومنازلة قريش بالسيف حتى الموت، ماعدا الجد بن قيس لنفاقه، حين حبسوا عثمان بن عفان رضي الله عنه في مكة[1]، فقال: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨]. ورضي عنهم الرسول ﷺ ووعدهم الجنة، كما في قوله ﷺ "لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها"[2]، وقال عنهم: "إنهم خير أهل الأرض"[3]؛ فما دام الاستثناء قد جاء للجد بن قيس فقط لنفاقه، فمن باب أولى أن يأتي استثناء للكفار إن كانوا فعلاً في أصحابه من أهل الحديبية.

ولو كان الأعراب الذين استنفرهم من الكفار ما عاتبهم الله سبحانه وتعالى وكشف عن نياتهم وحقيقة مواقفهم من الاستنفار، إذ قال: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الفتح:١١]. فمن يطلب الاستغفار لتقصير منه؟ لابد أن يكون من المسلمين.

---

(١) البخاري /الفتح (١٦/٢٤/رقم ٤١٦٩)؛مسلم (٣/١٤٨٣/رقم ١٨٥٦)، واستثناء الجد بن قيس من روايته.

(٢) مسلم (٤/١٩٤٢/رقم ٢٤٩٦).

(٣) البخاري /الفتح (١٦/١٧/رقم ٤١٥٤).

٢٥- يذكر بودلي[١] أن هاجر طردت من خيام إبراهيم عليه السلام بتحريض من سارة، وهامت على وجهها في الصحراء.

إن قصة هاجر كما تروي مصادرنا ليست كما ذكر، نعم تقول مصادرنا إن الغيرة اشتدت بسارة عندما ولدت هاجر إسماعيل عليه السلام، فحلفت لتقطعن منها ثلاثة أعضاء[٢]. ولذا هربت هاجر مع زوجها إبراهيم عليه السلام[٣]، ولم تطرد كما يدعي بودلي. وسار بها في الصحراء إلى أن وصل مكان بئر زمزم الحالية بمكة، وليس بها يومئذ أحد، لا ماء ولا طعام، ووضع عندها جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم رجع إلى موطنه، فتبعته وهي تقول حينها مراراً: أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟ وهو لا يلتفت إليها، وأخيراً قالت له: آالله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا"، ثم رجعت إلى حيث أنزلها. فانطلق حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرى، استقبل بوجهه البيت الحرام، ثم دعا ربه قائلاً: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ

---

(١) الرسول، ص ١٧.

(٢) الطبري: التاريخ (١/٢٥٣ـــ٢٥٤).

(٣) البخاري /الفتح (١٣/١٤١ ـــ١٥٢/رقم ٣٣٦٤، ٣٣٦٥).

﴿لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. ثم كان ما كان من بقية القصة ومجيء إبراهيم عليه الصلاة والسلام مرتين أخريين إليها، وبنى الكعبة بمساعدة ابنه إسماعيل بأمر الله سبحانه وتعالى في رواية طويلة عند البخاري[١]، وغيره.

وكان الأمر كله بتدبير الله، لا بتدبير البشر، لحكمة أرادها ويعلمها، ولكن لا يريد أن يعلمها أمثال بودلي.

٢٦- يزعم بودلي[٢] أن الرسول ﷺ أمَّ الناس في صلاة شكر في اليوم الذي انتهت فيه معركة أحد.

الذي حدث أن الرسول ﷺ عندما فرغ من دفن شهداء غزوة أحد، ركب فرسه ومعه أصحابه، فلما كانوا بأصل أحد، قال: "اصطفوا حتى أُثني على ربي عز وجل"، فاصطف الرجال خلفه صفوفاً، خلفهم النساء، فأخذ في الدعاء للمسلمين والدعاء على المشركين[٣].

ولم يثبت أن الرسول ﷺ صلى يوماً صلاة شكر جماعة، لا يوم أحد ولا غيره، بل الثابت سجود الشكر، وفي غير هذا الموطن. ولم نقف على أصل لصلاة شكر جماعية كما يفعل في بعض البلاد الإسلامية اليوم.

---

(١) المصدر والمكان نفسه.

(٢) الرسول، ص ١٦٧.

(٣) انظر الرواية عند: أحمد:المسند (٣/٤٢٤)، ط. المكتب الإسلامي، وانظر الدعاء بتمامه عند الحاكم: المستدرك (٣/٢٣)، وصححه ووافقه الذهبي، ابن كثير: البداية النهاية (٤/٤٤- ٤٥)، وهي رواية أحمد، وقال: رواه النسائي في كتاب عمل اليوم والليلة، الواقدي: المغازي (١/٣١٤) بمثل متن رواية أحمد ولكن لم يسندها، وانظر المجمع (٦/١٢٤- ١٢٥)، وقال: رواه أحمد والبزار.. ورجال أحمد رجال الصحيح.

٢٧- يذكر بودلي[١] أن مسطح بن أثاثة كان صديقاً لأبي بكر.

الذي ثبت في الصحيح أنه كان قريباً لأبي بكر[٢]؛ وحدد ابن إسحاق[٣] هذه القرابة، فروى أنه ابن بنت خالته. ولا يستبعد أن يكون القريب صديقاً، ولكن لم نقف على رواية تفيد بأنه كان صديق أبي بكر.

٢٨- يزعم بودلي[٤] أن حسان بن ثابت ﷺ أحب مارية القبطية رضي الله عنها، ولذا وهب له الرسول ﷺ سيرين أختها.

لم تذكر مصادرنا هذا الزعم. بل الذي تذكره أن الرسول ﷺ عندما وصلته هدية المقوقس، حاكم مصر حينها، وفيها مارية وأختها سيرين، تسرَّى بمارية، وأهدى أختها سيرين إلى صاحبه حسان بن ثابت ﷺ[٥] وفي رواية أن الرسول ﷺ منح حساناً سيرين عوضاً له عن الضربة التي ضربه إياها صفوان ابن المعطل عندما هجاه[٦].

---

(١) الرسول ص ٢٠٠.

(٢) في حديث عائشة الطويل عند البخاري في قصة الإفك، الفتح (٨٦/١٨/رقم ٤٧٥٠).

(٣) ابن هشام (٤١٤/٣)، والراجح عندي أنه بإسناد أول خبر الإفك، وهو حسن لذاته، وإن لم يكن كذلك فله شواهد من حديث البخاري المشار إليه آنفاً وغيره.

(٤) الرسول، ص ٢٣٧.

(٥) ذكر هذا ابن كثير في البداية (٣٤٠/٥-٣٤١)، بإسناد حسن لغيره، ومن شواهده: رواية البزار بإسناد حسن، كما قال ابن حجر في الإصابة (٤٠٥/٤/ ترجمة مارية)، وفيها إهداء المقوقس جاريتين أختين، اتخذ إحداهما ووهب الأخرى؛ ابن هشام (٢٤٧/١)، موقوف على ابن لهيعة، و هو ضعيف، وليس فيه ذكر لأختها سيرين، ابن سعد: الطبقات (٢٦٠/١-٢٦١)، من حديث الواقدي، و فيه التصريح باسم الجاريتين، و لم يذكر إهداء سيرين لحسان، ابن كثير: البداية (٣٤٢/٥)، من رواية أبي نعيم، بإسناد ضعيف، وذكر مارية فقط.

(٦) ابن هشام (٤٢٣/٣-٤٢٤)، من حديث ابن إسحاق بإسناد ضعيف للانقطاع.

٢٩- يزعم بودلي[١] أن من أسباب فتح خيبر أن محمداً شاء أن يعوض خيبة الأمل التي فرضها على أصحابه في الحديبية، ورغبته في استخدام جيشه الجديد.

لم نقف على هذا الزعم في المصادر التي بين أيدينا، بل ذكرت ما ذكره بودلي[٢] في مكان آخر في هذا الصدد، وهو أن يهود خيبر ظلوا يؤلفون خطراً أمنياً لدولة الإسلام الناشئة، وبخاصة عندما نزل بعض كبار زعماء بني النضير بخيبر، بعد إجلائهم عن المدينة: سلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع ابن أبي الحقيق وحيي بن أخطب. فلما نزلوها دان لهم أهلها. نزلوها بأحقادهم القديمة ضد المسلمين، ولذا كانوا يتحينون الفرص للانتقام، ووجدوا في قريش وبعض قبائل العرب المشركة مطية ذلول للوصول إلى هدفهم، فحملوهم على غزوة الخندق، وسعوا في إقناع بني قريظة للانضمام إليهم والغدر بالمسلمين. وقد وجد حيي بن أخطب داخل حصن بني قريظة حين حاصرهم الرسول ﷺ، وأخرج، فقال له رسول الله ﷺ "هل أخزاك الله؟"، قال: قد ظهرت عليَّ، وما ألوم نفسي فيك، فأمر به الرسول ﷺ فقتل[٣].

وكانت هدنة صلح الحديبية فرصة أمام المسلمين لتصفية هذا المصدر الخطير، ووعد الله المسلمين بمغانم كثيرة يأخذونها إذا فتحوا خيبر، كما أشارت الآية الكريمة: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ

---

(١) الرسول، ص ٢٤١.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٤١، ولعله تابع هنا شيخه إميل درمنجهم.

(٣) الهيثمي: المجمع (٦/١٣٨-١٣٩)، وقال الهيثمي: في الصحيح بعضه عن عائشة متصل الإسناد؛ عروة بن الزبير: المغازي، ص ١٨٧-١٨٨، جمع: الأعظمي.

ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الفتح: ١٨-٢١]. ومما ورد في تفسير: ﴿وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾، ما أجرى الله على أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم، وما حصل بذلك من الخير العام المستمر المتصل بفتح خيبر ومكة وسائر البلاد عليهم[١]. وقال مجاهد في تفسير قوله: ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ يعني فتح خيبر[٢]، وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المقصود من قوله تعالى: ﴿لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ﴾ هي خيبر[٣].

لو استفاد بودلي من مثل هذه الروايات والمصادر والتفاسير، لما زعم ما زعم وتخرص، واستنتج استنتاجات خاطئة. ويكثر مثل هذا في كتابات المستشرقين حتى الذين يوصفون بالاعتدال، أمثال بروكلمان[٤]، فاسمعه يقول: " كان على محمد أن يعوض خسارة أحد التي أصابت مجده العسكري من طريق آخر، ففكر في القضاء على اليهود، فهاجم بني النضير لسبب واهٍ ".

---

(١) انظر، ابن كثير: التفسير (٣٢٢/٧)، وفيه بقية التفاسير.

(٢) المصدر والمكان نفسيهما، وفيه بقية التفاسير.

(٣) المصدر نفسه (٣٢٣/٧)، وفيه بقية التفاسير.

(٤) تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٥٢. وللرد على هذا الزعم، انظر: د. مهدي: رزق الله أحمد: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ط١، ط٢، أحداث خيبر.

أما المتعصبون منهم فقد بالغوا في مزاعمهم، خاصة إذا كان الأمر يتعلق باليهود.

ومثال ذلك قول يوليوس فلهاوزن[1]: ".. أما اليهود فقد حاول محمد أن يظهرهم بمظهر المعاندين الناكثين للعهد، وفي غضون سنوات قليلة أخرج كل الجماعات اليهودية أو قضى عليها في الواحات المحيطة بالمدينة، حيث كانوا جماعات متماسكة كالقبائل العربية، وقد التمس لذلك أسباباً واهية"، وقول مرغليوت[2]: "عاش محمد هذه السنين الست بعد هجرته إلى اللصوصية والسلب والنهب، ولكن نهب أهل مكة قد يسوغه طرده من بلده ومسقط رأسه وضياع أملاكه، وكذلك بالنسبة إلى القبائل اليهودية في المدينة، فقد كان هناك - على أي حال - سبب ما، حقيقياً كان أم مصطنعاً، يدعو إلى انتقامه منهم، إلا أن خيبر التي تبعد عن المدينة كل هذا البعد، لم يرتكب أهلها في حقه ولا في حق أتباعه خطأً يعتبر تعدياً منهم جميعاً، لأن قتل أحدهم رسول محمد لا يصح أن يكون ذريعة للانتقام. وهذا يبين لنا ذلك التطور العظيم الذي طرأ على سياسة محمد. ففي أيامه الأولى بالمدينة، أعلن معاملة اليهود كمعاملة المسلمين، لكن الآن ـــ بعد السنة السادسة للهجرة ـــ أصبح يخالف تماماً موقفه ذلك، فقد أصبح مجرد القول بأن جماعة ما غير مسلمة يعد كافياً لشن الغارة عليها. وهذا يفسر لنا تلك الشهوة التي أثرت على نفس محمد والتي دفعته إلى شن غارات متتابعة، كما سيطرت على نفس

---

(١) الدولة العربية وسقوطها، ص ١٥ـــ١٦؛ وانظر الرد عليه عند: د. مهدي: السيرة النبوية..

(٢) (محمد وظهور الإسلام) Margolliuth: Mohammed and the RISE of Islam (London, 1905), pp. 262 – 263.

الإسكندر من قبل ونابليون من بعد.. إن استيلاء محمد على خيبر يبين لنا إلى أي حد أصبح الإسلام خطراً على العا لم".

تضمن كلام مرغليوت هذا عدة مغالطات، رددنا على معظمها خلال ردنا على مزاعم وافتراءات ومغالطات بودلي. وإذا كانت هناك نقطة أخرى تستحق الوقوف عندها مرة أخرى فهي إيحاؤه وإيماءاته بأن سبب غزوة خيبر كان قتل أحدهم رسول رسول الله ﷺ إليهم لقبض ما فرض عليهم من مال.

قلت: وهذا خطأ وافتراء عظيم على الحقيقة التاريخية، التي لا نشك أن مرغليوت يعرفها، ولكن التعصب يصم ويعمي. فالصواب والثابت تاريخياً، وفي الصحيحين[1] بصفة خاصة، أنَّ قَتْلَ أحد يهود خيبر رسول رسول الله ﷺ - عبدالله بن سهيل - كما سبق ذكره في ردنا على بودلي، كان بعد غزوة فتح خيبر، وليس قبلها، ومن هنا يتضح لنا التدليس الذي يمارسه المتعصبون من المستشرقين على القراء، والتحريف المتعمد لحقائق السيرة النبوية بصفة خاصة والتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بصفة عامة.

وعلى القارئ أن يتأمل تخبط المستشرقين عند تناول سيرة نبينا محمد ﷺ. فمرغليوت يزعم أن سبب فتح خيبر قتل أحد يهودها رسول محمد ﷺ، ويأتي من بعده بودلي ليقول إن محمداً أراد تعويض خيبة الأمل التي فرضها على أصحابه في الحديبية، ومن قبلهما يزعم فلهاوزن أن القضاء على اليهود، أو طردهم من الحجاز كان لأسباب واهية.

---

(١) انظر البخاري /الفتح ٢٢/٣٤٠/رقم ٦١٤٢، ٦١٤٣، مسلم (٣/١٢٩١- ١٢٩٥/رقم ١٦٦٩)، ورواه غيرهما، اكتفينا برواية الصحيحين للاختصار.

وهكذا يتضح من دراسة أسباب فتح خيبر أن ما ذكره بودلي مجرد استنتاج خاطئ تابع فيه أساتذته المغرضين.

٣٠- يزعم بودلي[١] أن باقي اليهود طردوا جميعاً من خيبر بعد فتحها على يد المسلمين، ما عدا صفية بنت حيي بن أخطب زعيم القبيلة.

إن هذا خطأ تاريخي واضح، لأن الثابت في مصادر السيرة أن صلحاً تم بين الطرفين: المسلمين واليهود، كان من بنوده حقهم في البقاء على أرضهم مقابل شطر ما يخرج منها[٢]، وأن للمسلمين إخراجهم متى شاؤوا. وقد أخرجهم عمر بن الخطاب ﵁ في خلافته - إلى تيماء وأريحاء[٣] - عندما تكرر منهم الاعتداء على المسلمين. فقد تآمروا في المرة الأولى على قتل عبدالله بن سهل، وأنكروا ذلك، فوداه الرسول ﷺ من مال المسلمين[٤]. واعتدوا في المرة الثانية على عبدالله بن عمر، حين فدعوا يديه في خلافة أبيه عمر ﵁[٥].

ولو تابع بودلي شيخه درمنجهم[٦] لما وقع في هذا الخطأ التاريخي.

---

(١) الرسول، ص ٢٤٥

(٢) البخاري (رقم ٤٢٤٨)، مسلم (رقم ١٥٥١).

(٣) البخاري (رقم ٣١٥٢)، مسلم (برقم ١٥٥١).

(٤) البخاري (٦١٤٢)؛ مسلم (١٦٦٩).

(٥) أحمد: المسند (١/٩٠/ح٩٠)، بإسناد وصححه شاكر؛ ابن هشام (٣/٤٩٥)، من حديث ابن إسحاق بإسناد حسن لذاته، والفدع: عِوَج في المفاصل وأكثر ما يكون في رسغ اليد.

(٦) حياة محمد، ص ٣٤٢

٣١- يزعم بودلي[١] أن زيد بن حارثة ضحى بنفسه لدرجة أنه أعطى زوجته زينب بنت جحش صديقه وسيده محمداً، ولذا ذرفت عينا محمد الدمع عليه عندما مات؛ تقديراً لهذا الجميل.

يستند بودلي في هذا الزعم إلى روايات الضعفاء والمتروكين الذين لا يحتج بهم في مسائل الحلال والحرام والعقيدة، ولاسيما رواية الواقدي المتروك في سبب زواج الرسول ﷺ من ابنة عمته زينب بنت جحش.

وخلاصة رواية الواقدي: أن النبي ﷺ جاء ذات يوم إلى منزل متبناه وربيبه زيد بن حارثة، زوج زينب بنت جحش، فلم يجده، وقامت إليه زينب فُضُلاً [أي في ثيات مهنتها بالبيت]، فرآها فأعجبته، فأعرض عنها، ورفض طلبها في الدخول إلى دارها في غياب زوجها، وولى وهو يهمهم بشيء لم تفهم منه إلا قوله: "سبحان الله العظيم، سبحان مصرف القلوب". وعندما عاد زيد إلى داره أخبرته بما حدث، فجاء إلى الرسول ﷺ، وكان مما قال: ".. بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لعل زينب أعجبتك فأفارقها"، فقال له النبي ﷺ: "أمسك عليك زوجك" وتقول الرواية: إن زيداً لم يستطع إلى زينب سبيلاً بعد ذلك اليوم، فأخذ يتردد على الرسول ﷺ فيخبره ويبدي إليه رغبته في طلاقها، والرسول ﷺ يقول له كل مرة: "أمسك عليك زوجك، أو احبس عليك زوجتك"، وعندما لم يطق ذلك فارقها واعتزلها، وعندما انقضت عدتها

---

(١) الرسول، ص ٢٥٧.

أوحى الله لنبيه بأن يتزوجها[1].

من الواضح أن بودلي أخذ هذه الرواية من مشـــايخه، وعلـــى رأســـهم درمنجهم، الذي يقول بعد إيراده الرواية: "بيد أن زيداً أدرك أن الكـــلام لا يعبر عن الفكر، وأن محمداً أخفى ميله عن مجاملة وعن خوف من العيـــب، فأصر زيد على حل عقدة النكاح، متعللاً بأنه أضحى كارهاً لزينب، فطلقها بعد بضعة أيام، ومن يدري ماذا كان يدور في خلد هذه المرأة؟"[2].

لقد طعن العلماء المحققون في هذه الرواية لعلل ذكروها، وهي:الإرسال، لأنها موقوفة على محمد بن يحيى بن حبان، وهو تابعي توفي عـــام ١٢١هـ[3]، وفي سندها الواقدي، الذي ضعفه جمع من رجال الجرح والتعـــديل، منـــهم زكريا الساجي والبخاري وأحمد وابن المبارك وابن نمير وابن معـــين[4]، وفي إسنادها عبدالله بن عامر الأسلمي الذي ضعفه العلماء: أحمد وأبو زرعة وأبو عاصم والنسائي وابن معين والبخاري، وقال عنه ابن حبان: كـــان يقلـــب الأسانيد والمتون ويرفع المراسيل[5].

ومن كان هذا حاله عند العلماء فلا يصح الاحتجاج به في أمر يتعلـــق

---

(١) انظرها عند ابن سعد (١٠١/٨ـــ١٠٢)، بتصرف، الطبري: التاريخ (٥٦٢/٢ـــ٥٦٣)، وهـــي روايـــة الواقدي التي عند ابن سعد.

(٢) إميل درمنجهم: حياة محمد، ص ٣٠١.

(٣) ابن حجر: تهذيب التهذيب (٥٠٨/٩).

(٤) ابن حجر: المصدر نفسه (٣٦٣/٩)؛ الذهبي: ميزان الاعتدال (٦٦٢/٣ـــ٦٦٦).

(٥) ابن حجر: تهذيب التهذيب (٢٧٥/٥ـــ٢٧٩).

بعصمة الأنبياء[1].

والرواية الثانية التي يستند إليها بودلي وأمثاله للطعن في أخلاق الرسول ﷺ من حيث يعلمون أو لا يعلمون، رواية الطبري التي تتلخص في أن الرسول ﷺ خرج يوماً يريد زيداً، فعندما وقف على بابه رفعت الريح ستر الشعر الذي كان على الباب، فرأى زينب حاسرة في حجرها، فوقعت في قلبه. فلما وقع ذلك كُرِّهت إلى الآخر، قال: فجاء فقال: يا رسول الله، إني أريد أن أفارق صاحبتي، فقال: مالك! أرابك منها شيء؟! فقال: لا والله يا رسول الله، ما رابني منها شيء، ولا رأيت إلا خيراً. فقال له رسول الله ﷺ: "أمسك عليك زوجك واتق الله"، فذلك قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، تخفي في نفسك إن فارقها تزوجتها[2].

وقد طعن العلماء في هذه الرواية كذلك لأسباب ذكروها، وهي: لأن في إسنادها عبدالله بن وهب المصري، وهو ثقة، ولكنه مدلس ومتساهل[3]، ولم يصرح بالتحديث في هذه الرواية، ولذا فهي ضعيفة، ولأن في إسنادها عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العدوي، الذي ضعفه أحمد وابن المديني، وتكلم

---

(١) انظر: د. زاهر عواض الألمعي: مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش ـــ رواية تحليلية، وهو عمدتنا في هذه الدراسة ـــ جزاه الله خيراً.

(٢) الطبري: التاريخ (٢/٥٦٣ـــ٥٦٤).

(٣) انظر أقوال العلماء فيه عند ابن حجر: تهذيب التهذيب (٦/٨٣ـــ٨٤).

فيه غير واحد من العلماء[1]، ولأن إسنادها منقطع، لم يرفع إلى أحـــد مـــن الصحابة.

والرواية الأولى المقبولة عند العلماء هي الرواية التي أوردها الطبري[2]، من حديث علي بن الحسين، قال: كان الله تبارك وتعالى أعلم نبيه ﷺ أن زينب ستكون من أزواجه، فلما أتاه زيد يشكوها، قال: "اتق الله وأمسك عليك زوجك"، قال الله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ .

ورجال إسناد هذه الرواية ثقات، ماعدا علي بن زيد بن جدعان، فقـــد ضعف، قال ابن حجر[3]: " إلا أن الترمذي الحكيم قد أطنب في تحســـينها، وقال: إنها من جواهر العلم المكنون ". قلت: ويقوي هذا الإسناد رواية ابـــن أبي حاتم من طريق السدي، التي قال عنها ابن حجر[4] عند تعليقه على رواية علي بن الحسين وقول الترمذي عليهـــا، قـــال:.. وكأنـــه لم يقـــف - أي الترمذي - على تفسير السدي الذي أوردته، وهو أوضح سياقاً وأصح إسناداً إليه، لضعف علي بن زيد بن جدعان ". ولفظ السدي: "بلغنا أن هذه الآية - أي الآية ٣٧ من سورة الأحزاب - نزلت في زينب بنت جحش، وكانت أمها أميمة بنت عبدالمطلب عمة رسول الله ﷺ. وكان رسول الله ﷺ أراد أن

(١) انظر تهذيب التهذيب (١٧٨/٦).

(٢) في تفسيره، ج٢٢، مجلد ٢٢ـــ٢٥، ص ١٣، ط.الحلبي، ١٣٧٣هـ.

(٣) ابن حجر: الفتح (١٤٠/١٨/ك. التفسير /ب. قوله: "وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه..".

(٤) المصدر نفسه.

يزوجها زيد بن حارثة مولاه، فكرهت ذلك، ثم إنها رضيت بعدُ بما صنع رسول الله ﷺ، فزوَّجها إياه، ثم أعلم الله عز وجل نبيه ﷺ بعد أنها من أزواجه، فكان يستحيي أن يأمر بطلاقها، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس، فأمره رسول الله ﷺ أن يمسك عليه زوجه وأن يتقي الله. وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا: تزوج امرأة ابنه. وكان قد تبنى زيداً".

وهذه الرواية هي الثانية المقبولة عند العلماء في سبب زواج الرسول ﷺ من زينب بنت جحش، وما عدا ذلك فهي روايات ساقطة يجب الإعراض عنها كما قال ابن حجر[1]: "وردت آثار أخرى أخرجها ابن أبي حاتم والطبري، ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها، والذي أوردته منها هو المعتمد".

إن سبب زواج الرسول ﷺ من زينب بنت جحش هو إرادة الله تعالى إبطال عادة التبني التي كانت سائدة في الجاهلية. فزيد كان متبنى الرسول ﷺ، ودُعي بزيد بن محمد. وأقوى وسيلة لإبطال هذه العادة أن يتزوج الرسول ﷺ من مطلقة متبناه[2]. قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾ (الأحزاب:٥). وقال: ﴿ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وواضح أن بودلي اعتمد على آرفنج[١] ودرمنجهم[٢] في هذه الفرية المتداولة في كتب المستشرقين، كما سبق ذكره.

أما ما ورد من أخبار عن ذرف الرسول ﷺ الدمع على زيد عندما بلغه خبر استشهاده يوم مؤتة، فلم يكن بسبب تنازل زيد له عن زوجته زينب، بل هو أمر طبعي، لأنه كان حِبَّ رسول الله ﷺ، ومثاله قوله ﷺ له: "يا زيد أنت مولاي ومني وإليّ وأحب القوم إليّ"[٣]، وسبق أن ذكرنا رواية البخاري في هذا الصدد. و لم يذرف الدمع عليه وحده حين مات، بل ثبت في الصحيح[٤] أنه ذرف الدمع على قادة سرية مؤتة الثلاثة الذين أنبأه الله بخبر استشهادهم واحداً تلو الآخر. وذرفت عيناه عندما جاء إلى بيت جعفر وطلب من زوجته أسماء بنت عميس رضي الله عنها أن تأتيه بأبناء جعفر، فأتته بهم، فشمهم، وذرفت عيناه[٥]؛ وذرفت عيناه عندما جاء كذلك إلى بيت زيد، وقابلته ابنة زيد تجهش بالبكاء[٦].

---

(١) حياة محمد، ص ١٧٧ـ١٧٩.

(٢) حياة محمد، ص ٣٠٠ـ٣٠٣.

(٣) ابن سعد(٣/٤٤)، بإسناد حسن كما قال ابن حجر في الإصابة(١/٥٦٤)، وقال: هو عند أحمد مطول.

(٤) البخاري /الفتح (١٦/١٠٠ـ١٠١/رقم ٤٢٦٢، ٤٢٦٣).

(٥) من رواية الإمام أحمد وابن ماجه كما ذكر الشامي في السبيل (٦/٢٤١).

(٦) ابن سعد: الطبقات (٣/٤٧)، بإسناد صحيح، رجاله ثقات.

٣٢- يزعم بودلي[١] أن جعفر بن أبي طالب دفن في احتفال عسكري عندما مات، وسار الجيش كله في جنازته، وخطب محمد عليه.. وذرفت عينا محمد الدمع عليه.

هذا الزعم باطل، إذ لم يرد في مصادر السيرة الموثوقة، والذي تذكره المصادر أن جعفراً استشهد في معركة مؤتة، وهي بالشام، دون دمشق، واستشهد معه القائدان الآخران: زيد بن حارثة وعبدالله بن رواحة، ونعاهم الرسول ﷺ للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: "أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب"، وعيناه تذرفان، حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم[٢].

ومن المعروف شرعاً أن الشهداء وقتلى المعارك الجهادية يدفنون حيث استشهدوا أو صرعوا، وقد فعل رسول الله ﷺ ذلك في شهداء وقتلى بدر[٣] وأحد[٤] وحنين[٥] وفتح مكة[٦] وغيرها[٧].

---

(١) الرسول، ص ٢٥٧

(٢) البخاري /الفتح (١٦/١٠٠-١٠١/رقم ٤٢٦٢، ٤٢٦٣).

(٣) انظر، د. مهدي أحمد: السيرة النبوية، ط٢، (٤٤٦/١).

(٤) ابن ماجه (٤٨٦/١/ك.الجنائز/ب.ما جاء في الصلاة على الشهداء ودفنهم، وقال السمهودي: وفاء الوفا (٩٤١/٣): " رواه الترمذي وقال حسن صحيح عن جابر ﷺ قال: كنا حملنا القتلى يوم أحد لندفنهم، فجاءنا منادي رسول الله ﷺ، فأمرنا بدفن القتلى في مصارعهم، فرددناهم، وليحمل على من يبلغوا به المدينة، والله سبحانه وتعالى أعلم ").

(٥) ابن هشام (٣٤٦/٤-٣٤٧)، من حديث ابن إسحاق بدون إسناد، وفيه استشهاد عروة بن مسعود ودفنه مع شهداء حصار الطائف حسب وصيته.

(٦) انظر السيرة لمهدي أحمد.

(٧) روى أحمد من حديث جابر أن النبي ﷺ قال " ادفنوا القتلى في مصارعهم" المسند (٣٠٨/٣، ٣٩٨، =

وفي رواية للواقدي[1]: "لما التقى الناس بمؤتة، جلس رسول الله ﷺ على المنبر وكشف له ما بينه وبين الشام، فهو ينظر إلى معركتهم، فقال: أخذ الراية زيد بن حارثة، فجاءه الشيطان فحبب إليه الحياة، وكره إليه الموت وحبب إليه الدنيا! فقال: الآن حين استحكم الإيمان في قلوب المؤمنين تحبب إلى الدنيا! فمضى قدماً حتى استشهد، فصلى عليه رسول الله ﷺ، وقال:استغفروا له، فقد دخل الجنة، .."، وذكر حال جعفر وابن رواحة عندما تسلما الراية واستشهدا، والرسول ﷺ يصلي على كل واحد منهم ويدعو له، ويطلب من المسلمين الاستغفار له، ويشهد له بالشهادة والجنة.

والصلاة المشار إليها هنا هي الدعاء، لأن الشهيد لا يستحب الصلاة عليه غائباً أو حاضراً[2].

ويؤكد هذا رواية عند النسائي والبيهقي عن أبي قتادة أن الرسول ﷺ جمع الناس وصعد المنبر، فأخبرهم باستشهاد القواد الثلاثة واحداً تلو الآخر، ثم أخذ يستغفر لهم[3]، وليس فيها ذكر الصلاة.

فلعل بودلي وأمثاله استنتجوا من مثل هذه الرواية أن الصلاة عليهم كانت حاضرة، وهي ليست كذلك، وإنما كانت صلاة غائب بالدعاء.

= ورواه غيره كأبي داود (١٠٨/٢/ك. الجنائز/ب. في الميت يحمل من أرض إلى أرض وكراهة ذلك، النسائي: المجتبى ٦٥/٤١/ الجنائز / أين يدفن الشهيد).

(١) المغازي (٧٦٢/٢).

(٢) انظر: ابن قدامة: المغني (٤٤٢/٣)، ط٢، تحقيق د. التركي.

(٣) أورد ذلك الشامي في السبل (٢٤٢/٦)، و انظره عند الواقدي (٧٦١/٢).

ومن السنة كذلك التعجيل بدفن الميت[1]. ومما يؤكد أن المسلمين عملوا بدفنهم في مكان مصرعهم، ما رواه سعيد بن منصور[2]، من حديث سعيد ابن أبي هلال، الذي نصه: "وبلغني أنهم - أي المسلمين يوم مؤتة - دفنوا يومئذ زيداً وجعفراً وابن رواحة في حفرة واحدة". وقد روى البخاري قصة استشهاد القواد الثلاثة يوم مؤتة بإسناد متصل إلى عبدالله بن عمر ﷺ - أحد من شارك في المعركة - وهو إسناد سعيد بن منصور نفسه، ولكن بدون الزيادة المذكورة بلاغاً عند ابن منصور. والبلاغ من أقسام الضعيف عند علماء الحديث، ولكن يشهد لصحة بلاغ سعيد بن أبي هلال ما ثبت في السنة من دفن الشهداء في مكان استشهادهم، جماعةً، وما تؤكده آثار المقابر بالمدينة المنورة، إذ ليس بينها مقابر هؤلاء القادة الثلاثة، ولم يرد خبر يعارض ما ذكرناه.

لم يكن بودلي وحده من بين المستشرقين ممن تخبط في مسألة مكان دفن شهداء مؤتة، فها هو شيخه درمنجهم[3] يزعم أن المسلمين عندما رجعوا من سرية مؤتة حملوا معهم إلى المدينة جثمان جعفر بن أبي طالب. ولعل هذا الزعم هو مصدر بودلي، فزاد عليه ما زاد كعادة بعض المستشرقين.

---

(١) انظر كتب الفقه، أبواب دفن الميت، أبي داود: السنن (١٧٨/٢/ك.الجنائز).

(٢) السنن (٢٩٧/٢ـــ٢٩٨/رقم ٢٨٣٥)، وانظر: ابن حجر: الفتح (٩٨/١٦/ رقم ٤٢٦٠)، وقد أشار إلى رواية سعيد بن أبي هلال عند ابن منصور، ولم ينكرها.

(٣) حياة محمد، ص ٣٤٦. وهكذا فعمدة بودلي هو درمنجهم في كثير من المسائل، وليس مصادر الإسلام الموثوقة. وهذه الثقة العمياء في شيخه وتقريراته، هي التي أفسدت عليه كتابه، وجعلته مشحوناً بالمزاعم والأخطاء التي يعرفها صغار طلاب العلم.

إن دفن الموتى من العظماء في مواكب واحتفالات عسكرية موسيقية من عادات أهل زماننا المعاصر. وكأني ببودلي قد أسقط مفاهيم زمانه على أحداث زمان عصر النبوة، وذلك بعد تخيله ما يمكن أن يحدث بعد موت أولئك العظماء. والإسقاط ظاهرة عند المستشرقين.

٣٣- يزعم بودلي[١] أن أغلبية المسلمين تخلفوا عن الخروج مع الرسول ﷺ في غزوة تبوك.

وهذا زعم باطل، والعكس هو الصحيح. ففي رواية لمسلم[٢] أنهم يزيدون على عشرة آلاف، ولا يجمعهم ديوان حافظ، وفي رواية أخرى له: المسلمون مع رسول الله كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ، يريد بذلك الديوان[٣]. وقال ابن حجر[٤]:"وللحاكم في "الإكليل" من حديث معاذ: خرجنا مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك زيادة على ثلاثين ألفاً؛ بهذا العدد جزم ابن إسحاق"، وفي روايتين للواقدي[٥]: أنهم كانوا ثلاثين ألفاً، ونقل ابن حجر[٦] عن أبي زرعة الرازي أنهم كانوا أربعين ألفاً.وعند ابن أبي خيثمة[٧]

---

(١) الرسول، ص ٢٧٦.

(٢) صحيحه (٤/٢١٢٩/رقم ٢٧٦٩).

(٣) المصدر نفسه (٤/٢١٢١/رقم ٢٧٦٩).

(٤) الفتح (١٦/٢٤٢). قلت: ولا توجد رواية ابن إسحاق في المطبوع المتداول بين أيدينا. انظر في هذا: السندي: الذهب المسبوك في مرويات غزوة تبوك، ص ١٧٨.

(٥) المغازي (٣/٩٩٦)، بإسناد متصل، و(٣/١٠٠٢)، بإسناد له عن شيوخه، وهما عند ابن سعد في الطبقات (٢/١٦٦)، من رواية شيخه الواقدي.

(٦) الفتح (١٦/٢٤٢).

(٧) تاريخه، ج٥، ص ١٢٣.

من حديث أبي زرعة الرازي أنهم كانوا سبعين ألفاً.

والمشهور أن جيش تبوك كان ثلاثين ألفاً، وهو ما اتفق عليه أئمة المغازي والسير: ابن إسحاق وابن سعد والواقدي، ولا يعارض ما جاء في الصحيح؛ لأنَّ رواية مسلم لم تجزم بعدد معين، بل قالت إنهم كانوا كثيرين، يزيدون على العشرة آلاف.

وقد اختار درمنجهم[1] أحد مراجع بودلي الأساسية ـــ الرواية المتفق عليها عند أهل المغازي والسير.

فهل مثل هذا العدد يعد أقلية مقارنة بعدد القادرين على حمل السلاح من الصحابة من أهل المدينة وما حولها؟!

ثم إن المصادر تشير إلى أن من تخلف عن تبوك عدد من الأعراب والمنافقين، وعدد قليل جداً من الصحابة المؤمنين من أهل الأعذار الشرعية، وثلاثة ممن لم يكن لهم عذر عن التخلف في الجهاد، وهم: كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع. وقد أشار القرآن الكريم إليهم في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [التوبة: ١١٨].

وروى البخاري[2] ومسلم[3] قصتهم من حديث كعب بن مالك

(١) حياة محمد، ص ٣٤٦.

(٢) الفتح (١٦/٢٤١ـــ٢٥٢/رقم ٤٤١٨).

(٣) صحيحه (٤/ ٢١٢٠ـــ ٢١٢٨/رقم ٢٧٦٩).

الطويل. وجاء في حديث كعب أن الذين تخلفوا كانوا بضعة وثمانين رجلاً، اعتذروا للرسول ﷺ عن تخلفهم، فقبل منهم علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، ووَكَلَ سرائرهم إلى الله، ويتطابق هذا العدد مع ما ذكره الواقدي[1]، وزاد الواقدي بأن المعذرين من الأعراب كانوا أيضاً اثنين وثمانين رجلاً من بني غفار وغيرهم، وأن عبدالله بن أبي بن سلول - زعيم المنافقين - ومن تابعه من قومه كانوا من غير هؤلاء.

يبدو أن بودلي وغيره استند في زعمه بأن أغلبية المسلمين تخلفوا عن غزوة تبوك إلى ما ذكره الواقدي[2] من أن عدد الذين تابعوا عبدالله بن أبي من قومه في عدم الخروج مع الرسول ﷺ كانوا عدداً كثيراً، وروى هو وابن سعد[3] وابن إسحاق[4] أن ابن أبي خرج حتى وصل جبل ذياب بالمدينة ومعه حلفاؤه من اليهود والمنافقين، فكان يقال: ليس عسكر ابن أبي بأقل العسكرين، فلما سار الرسول ﷺ تخلف عنه فيمن تخلف من المنافقين. وكل هذا لم يثبت بطرق صحيحة. فقد روى ابن إسحاق والواقدي وابن سعد هذه الجزئية بصيغة التمريض، مما يدل على عدم قبولهم لهذه الرواية. ولهم أن يشكوا فيها، وبخاصة ذكر اليهود بهذا العدد الذي لا يتفق مع منطق الأحداث التاريخية التي وقعت بين اليهود والمسلمين. فالمشهور الثابت أن الرسول ﷺ أخرج يهود بني

---

(١) المغازي (٣/٩٩٥).

(٢) الطبقات (٢/١٦٥)، مكن حديث الواقدي.

(٣) المصدر والمكان نفسه.

(٤) ابن هشام (٤/٢١٩)، بإسناد مرسل.

قينقاع[1] والنضير[2] من المدينة قبل غزوة تبوك بسنين، وقتل مقاتلة يهود بني قريظة وسبى نساءهم، ولم يستثن من القتل إلا الأطفال ومن لا يحمل السلاح والذين أسلموا[3]؛ والذين أسلموا ثلاثة[4]. وحاز اثنان على أمان من بعض الصحابة[5].

ولم يتخلف كل المنافقين عن الخروج، فقد روى أحمد[6] أن جماعة منهم ملثمين حاولوا طرح الرسول ﷺ عن راحلته من رأس عقبة في طريق عودهم من تبوك في عتمة من الليل، فشعر بمؤامرهم الدنيئة، فأمر بإبعادهم عنه. وهم الذين قالوا في مجلس لهم بتبوك: "ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء"، فقال رجل في المجلس: "كذبت، ولكنك منافق[7]..".

إذا علمت – أيها القارئ – هذا كله، اتضح لك مدى فساد منهجية بودلي وغيره في تناول أحداث السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي. فمن أبسط

---

(١) البخاري / الفتح (١٥/٢٠٣ــ٢٠٤/رقم ٤٠٢٨)؛ مسلم (٣/١٣٨٧ــ١٣٨٨/رقم ١٧٦٦).

(٢) البخاري / الفتح (١٥/٢٠٢/رقم ٤٠٢٨)، عبدالرزاق: المصنف (٥/٣٥٩ــ٣٦٠)، بإسناد صحيح رجاله ثقات، أبو داود: السنن (٣/٤٠٤ــ٤٠٦/رقم ٣٠٠٤)، وسنده صحيح.

(٣) البخاري (٤١٠١)، مسلم (١٧٦٨).

(٤) ابن هشام (١/٢٧٢)، (٣/٣٢٩) إسناد الأولى يتقوى بالشواهد، وهي رواية البخاري ومسلم وغيرهما، وذكرهم ابن حجر وابن عبدالبر الإصابة (١/٧٩) ضمن الصحابة.

(٥) ابن هشام (٣/٣٣٠)، من حديث ابن إسحاق معلقاً.

(٦) المسند (٤/٢١٤٤/رقم ٢٧٧٧٩)، والبيهقي في الدلائل (٥/٢٥٦/٢٥٩)، من طريقين ضعيفين.

(٧) الطبري في التفسير (١٤/٣٣٣/رقم ١٦٩١٢)، وإسناده صحيح.

قواعد المنهج العلمي في التأليف في التاريخ أن يعتمد الباحث على المصادر الأصلية والأصيلة وعلى الروايات الصحيحة أولاً، وإذا لم يجدها استعرض جميع الروايات الضعيفة ورجح ما يقتضيه العقل والمنطق فيما لا يتعارض مع العقيدة أو يحل حراماً ويحرم حلالاً. أو على الأقل يذكر الروايات المعارضة في الموضوع الواحد، مثلما يفعل الطبري في كتابة التاريخ، ويحدد منهجه في مقدمة كتابه.

٣٥- يزعم بودلي[1] أن عليَّ بن أبي طالب ﷺ لم يكن يحسن الخطابة، وأن أهل اليمن ضحكوا منه، ورماه بعضهم بالحجارة، ولم يقبلوا منه الإسلام، فحاربهم، ثم أعلن لمحمد ﷺ أنهم صاروا جزءاً من الإسلام.

إن كل الذي قاله بودلي هنا ليس صحيحاً. فعليٌّ كان يحسن الخطابة، بل كان من أمراء الفصاحة والبيان، كما تشهد بذلك خطبه ومواعظه وأشعاره، وكتب السيرة والتاريخ مليئة بها.

أما فيما يختص بموقف أهل اليمن من علي ففيه أربع روايات:

الأولى رواية البيهقي[2]، من حديث البراء بن عازب، قال:بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام، وكنت فيمن سار

---

(١) الرسول، ص ٢٨٥.

(٢) الدلائل (٥/٣٩٦ـ٣٩٧)، وقال: أخرجه البخاري مختصراً من وجه آخر عن إبراهيم بن يوسف، قلت: وأصل هذا الأثر والحديث في البخاري (٤٣٤٩)، وقال محقق زاد المعاد (٣/٦٢٣) " وسجود الشكر في تمام الحديث صحيح على شرطه"؛ ورواه المحب الطبري في الرياض النضرة (٤/٢٢٣٤)، وقال: أخرجه أبو عمر، ورواه الطبري في التاريخ (٣/١٣١ـ١٣٢)، من حديث البراء بن عازب، وإسناده حسن.

معه، فأقام عليهم ستة أشهر لا يجيبونه إلى شيء، فبعث النبي علـــيَّ بـــن أبي طالب؛ وأمره أن يرسل خالداً ومن معه إلا من أراد البقاء مع علي فيتركـــه، وكنت مع من عقب مع علي، فلما انتهينا إلى أوائل اليمن بلغ القوم الخـــبر، فجمعوا له، فصلى علي بنا الفجر، فلما فرغ صفنا صفاً واحداً ثم تقدم بـــين أيدينا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، فلما قـــرأ كتابه خر ساجداً وقال:"السلام على همدان، السلام على همدان".

والرواية الثانية من حديث الواقدي[1] وتلميذه ابن سعد[2]، في خبر بعث الرسول ﷺ علياً إلى اليمن للمرة الثانية، وفيها أنه خرج إلى الـــيمن، بـــلاد مذحج، في ثلاثمائة فارس، وعندما التقى بجمعهم دعاهم إلى الإسلام فـــأبوا ورموا أصحابه بالنبل والحجارة، فصف أصحابه، ودفع لواءه إلى مسعود بن سفيان السلمي، ثم حمل عليهم علي بأصحابه، فقتل منهم عشـــرين رجـــلاً، فتفرقوا وانهزموا، فكف عن طلبهم، ثم دعاهم إلى الإسلام، فأسرعوا وأجابوا، وبايعه نفر من رؤسائهم على الإسلام، وقالوا: نحن على من وراءنا من قومنا، وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله.. ثم قفل علي فوافى النبي ﷺ بمكـــة، قـــد قدمها للحج سنة عشر.

والرواية الثالثة عند الواقدي[3]، عن سالم مولى أبي جعفر، مختصرة، وفيها أن الذين لقيهم علي وحاربهم كانوا جمعاً من زبيد وغيرهم.

(١) المغازي (١٠٧٩/٣)، بإسناد منقطع موقوف على أبي رافع.

(٢) الطبقات (١٦٩/٢ـــ١٧٠)، وصدر الرواية بكلمة " قالوا"، مما يعني أنها من رواية شيخه الواقدي.

(٣) المغازي (١٠٨١/٣ـــ١٠٨٢).

والرواية الرابعة عند الإمام أحمد[1]، بسنده إلى بريدة بن الحصيب ﷺ، وهو ممن كان مع علي حين بعثه الرسول ﷺ إلى اليمن، قال: "فلقينا بني زيد من أهل اليمن، فاقتتلنا، فظهر المسلمون على المشركين، فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية..".

والملاحظ أن بودلي اعتمد في زعمه على الرواية الثانية، أي رواية الواقدي، أو رواية ابن سعد من حديث الواقدي، والواقدي لا يحتج به، فما بالك إذا انفرد برواية. ولماذا لم يعتمد على الرواية الأولى، رواية البيهقي الصحيحة؟! وعلى أقل تقدير كان عليه أن يذكر جميع الروايات، وبخاصة أن الأولى تتعلق بقبيلة همدان، والثانية بقبيلة مذحج والثالثة بزبيد والرابعة ببني زيد. وواضح أن عقلية الانتقاء للروايات بما يناسب أغراضه هي التي تسيطر عليه.

وليس في الروايات الثلاث الأخرى ما يفيد أن علياً ﷺ لم يكن يحسن الخطابة، وأن أهل اليمن ضحكوا منه ورماه بعضهم بالحجارة. فالرمي بالحجارة كما في رواية الواقدي في مغازيه وابن سعد في طبقاته، ليس بسبب عدم إحسانه الخطابة، بل كانت الحجارة من أسلحتهم مع النبل في حربهم جيش علي. وهكذا حَرَّف بودلي الرواية الضعيفة ليصل إلى هدفه، وهو أن الإسلام انتشر بالسيف، وأهمل الرواية الصحيحة التي تقول إن الإسلام انتشر بالدعوة في قبيلة همدان اليمنية.وأمثال هذا التحريف كثير في كتب المستشرقين الذين أخذ عنهم بودلي بصفة خاصة، ولو نظر في مصادر السيرة الأصلية: الكتاب والسنة وصحيح التاريخ، لما وقع في مثل هذه الأخطاء، ولما ضلل قراءه من حيث يعلم أو لا يعلم.

---

(١) المسند (٣٠٦/٥)؛وفضائل الصحابة (٦٨٨/٢)، بإسناد واحد في المصدرين، وهو إسناد حسن.

وما دام الواقدي هو عمدة بودلي وغيره من مشايخه، فليعلم أن الواقدي[1] نفسه روى من حديث يونس بن ميسرة بن حُلَيس، ونصه قال: "لما قدم علي بن أبي طالب اليمن خطب به، وبلغ كعب الأحبار قيامه بخطبته، فأقبل على راحلته في حلة، معه حبر من أحبار اليهود، حتى استمعا له، فوافقاه، وهو يقول: إن من الناس من يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار، قال كعب: صدق! فقال علي: ومن يُعطِ باليد القصيرة يُعط باليد الطويلة. فقال كعب: صدق! فقال الحبر: وكيف تصدقه؟ قال: أما قوله: من الناس من يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار"، فهو المؤمن بالكتاب الأول ولا يؤمن بالكتاب الآخر. وأما قوله: "منهم من لا يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار"، فهو الذي لا يؤمن بالكتاب الأول ولا الآخر، وأما قوله: "من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة"، فهو ما يقبل الله من الصدقات. قال: وهو مثل رايته بيِّن! قالوا: وجاء كعباً سائل فأعطاه حلته، ومضى الحبر مغضباً! ومثلت بين يدي كعب امرأة تقول: من يبادل راحلة براحلة؟ فقال كعب: وزيادة حلة؟ قالت: نعم! فأخذ كعب وأعطى، وركب الراحلة ولبس الحلة، وأسرع السير حتى لحق الحبر وهو يقول: من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة.

تفيد هذه الرواية أن علياً كان يخطب في أهل اليمن ولا يعترضه أحد أو يرميه بحجارة، وأن في خطبته حكمة وفصاحة وحسن تمثيل. فلماذا أهمل بودلي هذه الرواية واعتمد على الأخرى بعد تحريفها؟! إنه الغرض أو الجهل أو متابعة أهل الأغراض والأهواء دون بصر، ودون الرجوع إلى مصادرهم. فكان الخلط والخبط والضلال.

---

(١) المغازي (٣/١٠٨٢ـ١٠٨٣)، بإسناده إلى ابن الحليس.

لا يخلو كتاب متعصب أو معتدل مزعوم من المستشرقين من الغمز واللمز في مواهب علي رضي الله عنه؛ فلامنس أحد مراجع بودلي، يتهمه بعدم الذكاء[1]. ودرمنجهم أحد مراجع بودلي كذلك، يتهمه بمحدودية الذهن، ويشكك في الروايات التي تصفه بالذكاء أو العبقرية[2].

٣٥- يشكك بودلي[3] في إسلام النجاشي، فيقول: "وقد قيل إن النجاشي قد قبل الإسلام، ولكن لا يوجد ما يثبت ذلك تاريخياً".

أقول: هناك ما يثبت إسلام النجاشي تاريخياً، ومن ذلك ما روى البخاري[4] ومسلم[5] أن الرسول ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، في العام التاسع الهجري، وصلى بالمسلمين عليه صلاة الغائب، وقال حين دعاهم إلى الصلاة: "توفي اليوم رجل صالح من الحبش، فهلم فصلوا عليه".

وذكر ابن إسحاق[6] في رواية له أن النجاشي لما مات كان يتحدث أنه لا يزال يُرى على قبره نور. ويفهم من هذه الرواية الصحيحة أنه مات مسلماً. وذكر في رواية أخرى أن قومه خرجوا عليه لأنه أسلم، وقبل أن يخوض حرباً ضدهم هيأ للمسلمين الذين هاجروا إليه، سفناً ليركبوها إذا

---

(١) انظر مثلاً: دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الإنجليزية القديمة (١٨٦/٢)، ترجمة فاطمة بنت محمد؛ لامنس: المؤامرة الثلاثية، ص ١٢٢. [Lammens, H.: Le Triumvirat,p. 122].

(٢) إميل درمنجهم: حياة محمد، ص ٢٢٨، ٢٣٠.

(٣) الرسول ن ص ٢٣٦.

(٤) الفتح (١٤١/٦/رقم ١٢٤٥)، وانظر كلام ابن حجر هنا عن إسلامه.

(٥) صحيحه (٦٥٦/٢/رقم ٩٥١)، وفيه تصريح بأنه النجاشي، وفي روايتين أخريين صرح باسمه "أصحمة"، (٢٢٨/٦/رقم ٩٥٢).

(٦) ابن هشام (٤٢٠/١)، بإسناد حسن لذاته.

انهزموا، وكتب كتباً يُشهد فيها بإسلامه.. وبلغ ذلك النبي ﷺ. فلما مات استغفر له[1].

فإذا كانت روايات البخاري ومسلم وابن إسحاق لا تعتمد في إثبات الحقائق التاريخية، فروايات من تلك التي تعتمد؟! روايات الواقدي؟! ربما! فالواقدي نفسه يروي أن النجاشي أسلم عندما وصله كتاب الرسول ﷺ يدعوه فيه إلى الإسلام، بل قال: "لو قدرت أن آتيه لأتيته"[2]. وفي رواية له ضمن حديث عمرو بن العاص ﷺ في قصة إسلامه، أنه أعلن إسلامه لعمرو ابن العاص، بل أسلم عمرو بن العاص على يديه[3]. وصرح في رواية ثالثة له بإسلام النجاشي، من حديث إسلام خالد بن الوليد[4].

ولك بعد هذا أن تعجب من جرأة هؤلاء المستشرقين على اقتحام ميدان التأليف في سيرة النبي ﷺ، وهم لا يملكون أدوات هذه المهنة ولا الحياء الذي لم يحرم الله منه حتى الحيوان. والحمد لله على الابتلاء!!!

٣٦- ويشكك في براءة عائشة رضي الله عنها مما نسب إليها من إفك:

فيقول: ".. ولما كانت عائشة هي موضوع الافتراء، كان الشك يحتمل الوجهين، فقد كان في رأس هذه الفتاة أكثر مما في رأس ألف نابه، وكان لها

(١) ابن هشام (٤٢١/١)، بإسناد مرسل حسن.

(٢) ابن سعد: الطبقات (٢٠٧/١ـ٢٠٨)، من حديث الواقدي.

(٣) الواقدي: المغازي (٧٤٣/٢).

(٤) المصدر نفسه (٧٤٦/٢).

قدرة الحصول على ما تبغي، فقد كانت متمتعة بكل ما يخلب الألباب، وكانت فاتنة، .."[1]. ويقول في مكان آخر من كتابه: ".. وإن السؤال الذي يظهر أنه لم يجد الجواب العلمي المعقول بعد، هو: هل كانت عائشة بريئة أو غير بريئة؟ كانت حمنة[2] تصر دائماً على أن مقابلة عائشة لصفوان[3] كانت مدبَّرة، فلعلها كانت تتألم من الثمانين جلدة، وحتى لو كان الأمر كذلك ففي رواية عائشة نُقَطٌ ضعيفة. كيف تنطلق دون أن تخبر أحداً، وهي تعلم أن القافلة وشيكة الرحيل، ثم تضيّع وقتاً طويلاً في البحث عن قلادتها؟! إن عنصر الوقت هنا هام.."[4].

لم يخل كتاب مستشرق مغرض من هذه الفرية. وهم يسيرون في طريق أسلافهم من الكفار والمنافقين الذين أثاروا الفرية في حياة الرسول ﷺ.

ولو كان هؤلاء مؤمنين بالقرآن الكريم لصدّقوا قول الله سبحانه وتعالى في براءة عائشة رضي الله عنها من تهمة أهل الإفك، وهو الذي سمى ما أشيع حولها إفكاً، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾[النور: ١١]، وقال: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢]. وسماه بهتاناً عظيماً، حين قال:﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم

---

(١) بودلي: الرسول، ص ١٩٥.

(٢) هي حمنة بنت جحش، أخت أم المؤمنين زينب بنت جحش.

(٣) صفوان بن المعطل ﷺ، هو الذي اتهمه أهل الإفك بعائشة رضي الله عنها.

(٤) بودلي: الرسول، ص ٢٠١.

﴿مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦].

ولأطاعوا أمر الله، الذي قال: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٧]. وهذه الآية صريحة في نفي الإيمان عن الذين يعودون لاتهام عائشة بما برأها الله منه. وصرحت آية أن عائشة ما كانت تصلح لرسول الله ﷺ شرعاً ولا قدراً، وأن الله ما كان ليجعلها زوجاً لرسوله، إلا وهي طيبة، لأنه أطيب من كل طيب من البشر، والآية المعنية هي: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦]. وهي الآية التي ختم الله بها آيات الإفك.

ولو كان هؤلاء مؤمنين كذلك بصحيح السنة والسيرة النبوية، لصدقوا ما جاء فيها من براءة عائشة رضي الله عنها. فقد روى خبر براءتها البخاري[١] ومسلم[٢] وأحمد[٣] وعبدالرزاق[٤] والترمذي[٥] وابن إسحاق[٦] وأبو داود[٧]

---

(١) الفتح (٩١٠٥٧/١٨/رقم ٤٧٥٠)، من حديث عائشة الطويل في قصة الإفك.

(٢) صحيحه (٢١٢٩/٤ــ٢١٣٧/رقم ٢٧٧٠)، وهو أتم سياق لحديث عائشة في قصة الإفك.

(٣) كما في الفتح الرباني (٧٣/٢١ــ٧٦)، ومتفق عليه كما ذكر الساعاتي.

(٤) المصنف (٤١٠/٥ــ٤١٩).

(٥) السنن (١٣/٥ــ١٧/ك. التفسير / ب. سورة النور)، من حديث ابن إسحاق، بإسناد حسن.

(٦) ابن هشام (٤١١/٣ــ٤١٩)، بإسناد حسن لذاته.

(٧) السنن (٦١٨/٤ــ٦١٩/ك.الحدود /ب.في حد القذف)، في خبر من أشاعوا الفاحشة، وجلدوا، وإسناده حسن لغيره، لأن ابن إسحاق لم يصرح بالسماع.

وابن ماجه[1] والطبراني[2] والطبري[3] والواقدي[4] وابن سعد[5]. بل من المؤمنين مَنْ رفض التشكيك في براءة عائشة قبل أن ينزل الوحي ببراءها، أمثال:أبي أيوب وأم أيوب[6] وأبي بن كعب وزوجته أم الطفيل[7] وسعد بن معاذ[8].

ولعلك تلحظ - أخي القارئ الكريم - أن المفسرين والمحدثين وأهل المغازي والسير قد اتفقوا على براءة عائشة رضي الله عنها، و لم يشذ منهم سوى الروافض، الذين أصبحت رواياهم في كتب الإخباريين مرتعاً خصباً لأمثالهم من أصحاب الأهواء والأغراض الخبيثة والتعصب المذهبي الأعمى المقيت؛ فمن أين لبودلي وأمثاله الشك في هذه البراءة التي نزل بها القرآن الكريم وحسم الأمر إلى يوم الدين؟ إنها مرويات الروافض. والتفسير الوحيد لموقف هؤلاء من قصة الإفك هو رغبتهم التشكيك في القرآن والسنة وأخلاق

---

(١) السنن (٢/٨٥٧)، من حديث ابن إسحاق بإسناد حسن، وفيه خبر جلد من أشاعوا الفاحشة في عائشة، وجلدوا.

(٢) المعجم الكبير (٢٣/١٦٣)، من حديث ابن إسحاق بإسناد حسن، في جلد من أشاعوا الفاحشة في عائشة.

(٣) التفسير (١٨/٨٧ـــ١٠٠).

(٤) المغازي (٢/٤٢٦ـــ٤٣٩)، وهو من حديث عائشة الطويل في قصة الإفك كما في الصحيح.

(٥) الطبقات (٢/٦٥)، مختصراً جداً.

(٦) انظر في هذا: البخاري مع الفتح (٢٨/١١٠/رقم ٧٣٧٠)؛ الواحدي: أسباب النزول (باب ٣٢١)؛ ابن هشام (٣/٤١٨ـــ٤١٩)، من حديث ابن إسحاق، بإسناد منقطع، ولكنْ له أصل في الصحيح، الواقدي: المغازي (٢/٤٣٤).

(٧) الواقدي: المغازي (٢/٤٣٤ـــ٤٣٥)، بصيغة التمريض.

(٨) ابن حجر: الفتح (٢٨/١١٠)، وعزاه إلى تفسير سنيد من مرسل سعيد بن جبير.

نساء بيت النبوة وصحابته الكرام. والصحابة هم نقلة القرآن والسنة إلينا، والطعن في الناقل طعن في المنقول، كما هو معلوم عند العلماء.

لقد تجاوز بودلي شيخه آرفنج في هذه المسألة، وتابع أسوأ مشايخه. فآرفنج لا يتهم عائشة رضي الله عنها فيما برأها الله منه، ويسلم برواية ثقات المؤرخين المسلمين[1]، فلو تابعه بودلي في هذه المسألة كما تابعه في غيرها لوجدنا له عذراً في غيرها، وقلنا إنه تابع مشايخه كالأعمى الذي يتبع قائده، ولكن اتضح لنا أنه ينتقي من آراء مشايخه أسوأها، ويهمل ما فيه أي مسحة إنصاف لنبينا محمد ﷺ وآل بيته الأطهار وأصحابه الذين رضي الله عنهم. إنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور!!

٣٧- ولم يكتف بودلي بالتشكيك في براءة عائشة رضي الله عنها التي حسمها الوحي قبل الكل، بل نراه يكيل الاتهامات لها.

يتهمها بالتآمر وتأليب المسلمين بعضهم على البعض بعد وفاة الرسول ﷺ[2]، وبأنها فعلت أشياء في بيوت النبي ﷺ تخالف مبادئ الإسلام جميعاً، وأن أباها كان ينكر ما تفعله إنكاراً شديداً[3]؛ وبأنها كانت متقلبة؛ ومما قاله في قمة تقلبها: ".. وأودع المصحف عند حفصة، ولا يعرف سبب عدم

---

(١) حياة محمد، ص ١٨٠-١٨٦

(٢) الرسول، ص ٩٣، ١٣٠. وممن سبق بودلي من المستشرقين إلى هذه التهمة شيخه درمنجهم في كتابه: حياة محمد، ص ٣١٩.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٣٠.

إعطاء المصحف لابنته - يعني أبابكر - ولعله كان يعرف طبيعتها المتقلبة.."[1]؛ ويتهمها بأنها حاربت علياً لأنه لم يناصرها في حديث الإفك، وقال لمحمد عندما استشاره في أمرها: النساء غيرها كثير[2]؛ واتهمها بالخبل، هي ونساء النبي ﷺ الأخريات، ومما قاله هنا ".. ولم نر شابات مخبولات كهؤلاء الشابات - يعني نساء النبي ﷺ"، ويقول: ".. فقد كن كعصابة مخبولات.."[3].

كل هذه تهم جزافية لا تستند إلى روايات تاريخية صحيحة مبرأة من الأغراض أو غير صحيحة[4].

وقد سمعت عائشة رضي الله عنها بعض هذه التهم في حياتها، مثل اتهامها بأنها حاربت علياً لأنه لم يناصرها في حديث الإفك، فقالت في ردها عليهم، وهي تودع الناس بعد انقضاء موقعة الجمل: ".. يابني، تَعَتَّبَ بعضنا على بعض استبطاءً واستزادة، فلا يَعْتَدَّنَّ أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك؛ إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه عندي على معتبتي من الأخيار"، وقال علي معقباً على كلامها: "يا أيها الناس، صدقت والله وبرت، ما كان بيني وبينها إلا ذلك،

---

(١) المرجع نفسه، ص ١٥٦.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٩٥. وممن سبق بودلي إلى هذا الزعم شيخه درمنجهم: حياة محمد، ص ٣١٢، ولفظه " فلم تعف عائشة عن علي لقوله هذا " وزاد عليه بودلي ما زاد كما نلحظ.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٣٩.

(٤) انظر كذلك درمنجهم، حياة محمد، ص ٣٢٢.

وإنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة"[1].

وهل كانت عائشة رضي الله عنها مخبولة؟ وهي التي أطنب المؤرخون في وصف ذكائها، ومنهم بودلي نفسه الذي قال عنها: ".. فقد كان في رأس هذه الفتاة أكثر مما في رأس ألف نابه.."[2]. وأصحاب الأغراض والأهواء دائماً متناقضون، وهل المخبول هو من ينكث ما غَزَلَه خلال لحظات؟ أو الذي اتفق المؤرخون على ذكائه وفقهه وفهمه وسعة علمه وقوة حافظته؟!

روى ابن سعد[3] حديث مسروق، ونصه: ".. رأيت مشيخة أصحاب محمد ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض"؛ وحديث عطاء بن أبي رباح، قال: "كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأياً في العامة"؛ وحديث هشام بن عروة عن أبيه: "ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة"[4]؛ وحديث أبي بردة بن أبي موسى الأشعري عن أبيه: "ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها فيه علماً"[5]. وقول الزهري: "لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء

---

(١) الطبري: التاريخ (٥٤٤/٤)، أحداث سنة ٣٦هـ، بسنده عن السري عن شعيب، عن سيف بن عمر عن محمد وطلحة.

(٢) الرسول، ص ١٩٥.

(٣) الطبقات (٦٦/٨)، بإسناد حسن، وقال الساعاتي في الفتح الرباني (١٢٨/٢٢): رواه الطبري وإسناده حسن، وأورده ابن حجر في الإصابة (٣٦٠/٤).

(٤) وحديث هشام عند أحمد: الفتح (الفتح (١٢٤/٢٢)، وذكر الساعاتي سنده وتخريجه كما هو معروف في منهجه في الفتح، وإسناده صحيح من بعض طرقه، فانظره، وقال الساعاتي كذلك في الفتح (١٢٨/٢٢) " رواه الطبراني بإسناد حسن"، وذكر لها الساعاتي بيتين من الشعر.

(٥) الساعاتي: الفتح (١٢٨/٢٢)، وقال رواه الترمذي وصححه.

لكان علم عائشة أفضل"[1]، وقول الزبير بن بكار عن أبي الزناد، قال:"ما رأيت أحداً أروى لشعر من عروة، فقيل له ما أرواك، فقال: ما روايتي في رواية عائشة؟ ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعراً"؛ وعن معاوية ﷺ قال: "والله ما رأيت خطيباً قط أبلغ ولا أفصح ولا أفطن من عائشة"[2]، وقد روت عن النبي ﷺ (٢٢١٠ حديثاً)، وهي رابعة الأربعة الأوائل المكثرين من الصحابة في رواية الحديث عن الرسول ﷺ[3].

هل يعقل ألا تقع عين بودلي على مثل هذه النصوص عندما كان يجمع مادة مؤلفه عن حياة محمد ﷺ؟! ولماذا يردد ترهات الروافض ومتعصبة المستشرقين التي تنتقص من قدر عائشة رضي الله عنها، ويعرض عن الروايات الكثيرة التي ترفع من قدرها وشأنها؟ ألم تقع عيون مشايخه الذين أخذ عنهم دون الرجوع بنفسه إلى المصادر على ما أخرجه الأئمة الأعلام من آثار عن مناقب عائشة الكثيرة في العلم والتوجيه والزهد، مثل ما أخرجه ابن سعد[4] من طريق أم ذرة التي قالت:"بعث ابن الزبير إلى عائشة بمال في غرارتين يكون مائة ألف، فدعت بطبق، وهي يومئذ صائمة فجعلت تقسم في الناس. قال: فلما أمست قالت: يا جارية: هاتي فطوري، فقالت أم ذرة - الجارية -:

---

(١) الساعاتي: الفتح (١٢٨/٢٢)، وعزاه إلى الهيثمي، وذكر قول الهيثمي فيه، حيث قال: " رواه الطبراني مرسلاً ورجاله ثقات ".

(٢) أورده الساعاتي في الفتح (١٢٨/٢٢)، وعزاه إلى الهيثمي، من حديث معاوية، وقال: قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٣) انظر في هذا: د. الطحان: تيسير مصطلح الحديث، ص ١٩٩.

(٤) الطبقات (٦٨/٨)، وإسناده صحيح.

يا أم المؤمنين، أما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحماً تفطرين عليه؟ فقالت: لا تعنفيني، لو كنت أذكرتيني لفعلت". أم لم تقع أعينهم على ما أخرجه ابن سعد[1] كذلك من حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها، قال: "رأيتها تصدق بسبعين ألفاً، وإنها لترفع[2] جانب درعها".

من المخبول إذن؟ من هذه سيرته، أم من يكتب في سيرة أعظم رجل وسيرة أطهر الأصحاب والزوجات ولا يلتفت إلى ما جاء في أشهر المصادر عن مناقبهم وسيرهم في الجوانب التي يتعرض لها؟!!

٣٨- ويزعم بودلي أن علياً ﷺ شبَّ على الوثنية الهاشمية[3].

المشهور تاريخياً أن علياً ﷺ لم يسجد لصنم قط. وبخاصة أنه أسلم صغيراً، في الخامسة من عمره طبقاً لأقوى الروايات[4]، أو الثامنة[5]، أو

---

(١) المصدر نفسه (٦٦/٨)، وإسناده صحيح.

(٢) لعلها لترقع!.

(٣) الرسول، ص ٥٩.

(٤) الطبراني: المعجم الكبير (٥٣/١)، بإسناد مرسل حسن، لأنه موقوف على محمد الباقر، الذي لم يدرك الحادثة، وهي رواية تتفق مع سن علي في غزوة بدر، حيث كان في العشرين من عمره، كما في رواية للطبراني في الكبير(٦٤/١)، والحاكم (١١١/٣)، وصححه، ووافقه الذهبي. انظر هنا: د. أكرم العمري: عصر الخلافة الراشدة، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص ٧٥.

(٥) الطبراني: الكبير (٥٣/١)، يعقوب بن سفيان الفسوي: المعرفة والتاريخ (٣٩٩/٣)، بإسناد صحيح عن عروة.

العاشرة[1]، وقيل في الثالثة عشرة[2]، أو الخامسة عشرة، أو السادسة عشرة[3].

ومن كان في سن الخامسة و لم يعرف عنه السجود لصنم قط، لا يمكن أن يقال: شب على الوثنية الهاشمية.

أما إذا استند بودلي ومشايخه إلى رواية ابن إسحاق غير المسندة، وفيها أن الرسول ﷺ، عندما دعا علياً للإسلام طلب منه أن يكفر باللات والعزى والبراءة من الأنداد، فهذه الرواية لا يحتج بها، ومع افتراض الاحتجاج بها تاريخياً، فهي لا تنهض دليلاً على أنه كان يمارس عبادة الوثنيين في مكة، لأن هذا مما كان يقوله الرسول ﷺ لبيان أصول العقيدة الإسلامية التي جاء بها.

والملاحظ أن درمنجهم، أحد مراجع بودلي، يقول بعكس ما يقول بودلي، فتأمل قوله: " لم يكن عليٌّ حين أسلم يبلغ الحلم، و لم يعبدالأصنام، و لم يسجد لغير الله، فصار اسمه يذكر مقروناً بعبارة: " كرم الله وجهه"[4]".

---

(١) ابن هشام (٣١٢/١)، من حديث ابن إسحاق، بدون إسناد، واختاره ابن حجر في الإصابة (٥٠٧/٢)، حيث قال: " ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح "؛ ابن إسحاق: السير والمغازي، ص ١٣٧، بإسناد ضعيف، إذ لم يجزم برواية عبدالله بن أبي نجيح عن مجاهد، وموقوف على مجاهد.

(٢) المحب الطبري: الرياض النضرة (١٠٩/٣)، وقال: أخرجه القلعي عن ابن عمر.

(٣) الطبراني: الكبير (٥٤/١)، بإسناد مرسل، من حديث الحسن البصري، ومراسيله قوية إلا النادر جداً- انظر المراسيل للسجستاني، وفي إسناده قتادة، وهو مدلس، والإسناد ضعيف لهذا السبب، ورواه أحمد: فضائل الصحابة (٥٨٩/٢/رقم ٩٩٨)، من ذات الطريق؛ والمحب الطبري: الرياض (١٠٩/٣)، عن أبي الأسود محمد بن عبدالرحمن بلاغاً.

(٤) حياة محمد، ص ٨٨.

والسؤال هنا: لماذا لم يتابع بودلي شيخه درمنجهم في هذه المسألة؟!

والجواب: يكفيك ما ذكر وما سيذكر عن تدليس بودلي وخبثه!!

٣٩- ولا يؤمن بودلي بالمعجزات كغيره من كثير من المستشرقين.

فالإسراء والمعراج ــ مثلاً ــ عنده أسطورة عربية. فتراه يقول في هذا الصدد: ".. إن دانتي قد تأثر بهذه الأسطورة العربية، فالتشابه ملحوظ في القضيتين، فيما يختص بوصف الجنة"، ويقول: ".. فلا يوجد عن محمد ما يثبت أن هذه الرحلة الليلية قد تمت، وما كنت أدري أن مدني [صاحبه المسلم العربي الذي كان يرافقه في الحجاز] كان يقص عليَّ عقيدة يدين بها كثير من العرب، ويعتقدون في صحتها اعتقادهم في القرآن، استناداً إلى حديث متواتر، وإن كل ما جاء فعلاً عن هذه الرحلة الإلهية على لسان محمد، هو ما ذكر في سورة " الإسراء"، وفي هذه السورة خاصة لا توجد أية إشارة إلى ما ذكره مدني وما يعتقده العرب، وكل ما جاء عن الإسراء في هذه السورة هو: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، وما الحكاية في الغالب إلا خرافة من الخرافات التي تذكر للتدليل على معجزات محمد، وما قال محمد يوماً إنه أتى بمعجزات"(١).

(١) الرسول، ص ١٠١ــ١٠٢.

ويقول في معرض الكلام عن غزوة بدر: ".. وإن الـــذين يعتقـــدون في المعجزات يقولون: إن شيئاً غير عادي قد وقع في هذه اللحظة، فإن جيشاً من الملائكة على رأسه جبريل، قد استجاب لنداء محمد، وشاركوا المســلمين في قتالهم.."[1].

لأن بودلي لا يؤمن بأن القرآن وحي من الله، وليس بعد الكفر ذنب، فقصة الإسراء والمعراج التي يصفها بأنها أسطورة عربية، ثابتة بنص القرآن الكريم، وقد أشار هو بنفسه إلى الآية الدالة على هذا، وهي الآية الأولى من سورة الإسراء. ولم تكن الإشارة إليها في سورة الإسراء فقط - وهي السورة التي سميت باسم هذا الحادث - بل هناك إشارة أخرى لها في سورة النجم، حيث ذكر الله سبحانه وتعالى قصة المعراج وثمرته، كما في الآيات: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٣-١٨].

والقصة ثابتة كذلك بالأحاديث الصحيحة المتواترة، وليس بحديث واحد متواتر يؤمن به المسلمون، كما أشار.

وليس صحيحاً أنه لا يوجد عن محمد ﷺ ما يثبت أن هذه الرحلة الليلية قد تمت، كما يزعم بودلي! وذلك بدليل قول الرسول ﷺ: "لمــا عــرج بي مررت بقوم لهم أظفار.."[2]، و: ".. مررت ليلة أسري بي مــررت علــى

---

(١) المرجع نفسه، ص ١٤١.

(٢) أحمد: المسند (٣/٢٢٤)، بسند صحيح كما قال محققو الموسوعة الحديثية (٢١/رقم ١٣٣٤٠)؛ أبو داود

=

قوم.."[1]، و: ".. رأيت ليلة أسري بي.."[2]، و: ".. لقيت ليلة أسري بي.."[3]، و: ".. لما كانت الليلة التي أسري بي فيها، أتت عليَّ رائحة طيبة.."[4].

إن من أكثر أحداث السيرة بمكة مرويات هي حادثة الإسراء والمعراج التي يشكك فيها بودلي. فمجموع رواياتها عند البخاري عشرون رواية، عن ستة من الصحابة رضي الله عنهم، وعند مسلم نحواً من ثماني عشرة رواية، عن سبعة من الصحابة.

لم يكن الرسول ﷺ بحاجة إلى الادعاء بأنه أتى يوماً بمعجزات، بل الواقع من سيرته مملوء بالمعجزات، وقد تناول العلماء هذه المعجزات في مجلدات.

وأفردت لها فصلاً في السيرة النبوية، في الطبعة الثانية، إضافة إلى المبثوث في ثنايا أحداث السيرة التي ألفتها بحمد الله تعالى.

وخلاصة الأمر: لم تكن معجزة الإسراء والمعراج - التي يشكك فيها - وحدها التي ثبتت بنص من القرآن الكريم، فهناك أيضاً قصة انشقاق القمر

= (٤٨٧٨)، بإسناد صحيح.

(١) أحمد: المسند (٣/ ١٢٠)، بإسناد حسن، وقال محقق الموسوعة الحديثية ــ المسند (١٩/ح١٢٢١١): حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان، لكن قد توبع.. إلخ.

(٢) أحمد (٢/٢٥٣)، وضعفه محقق الموسوعة (١٤/رقم ٨٦٤٠).

(٣) أحمد (١/٣٧٥)، بإسناد صححه شاكر (٥/١٨٥/ رقم ٣٥٥٦) وضعفه محقق الموسوعة الحديثية، المسند (٦/١٩/ ح ٣٥٥٦)؛ ابن ماجه (٤٠٨١)، بإسناد صحيح؛ الحاكم (٤/٨٨)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) أحمد (١/٣٠٩)، بإسناد صحيح كما قال شاكر (٤/٢٩٥ـــ٢٩٧/رقم ٢٨٢٢)؛ وقال محقق الموسوعة الحديثية، المسند (٥/ح ٢٨١٩): إسناده صحيح على شرط الشيخين.

على عهد النبي ﷺ، كما في الآية: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١-٢]، ووردت أحاديث في الصحيح[1] وغيرهما من عدة طرق تثبت وقوع هذه المعجزة.

بل كل ما حكاه القرآن من قصص الأنبياء والأمم الماضية، وما جاء فيه من أمور علمية أكدها العلم الحديث[2]، هي من المعجزات الدالة على أنه وحي من الله.

ثم إن المعجزات الأخرى التي وقعت لرسول الله ﷺ أكثر مما وقع لأي نبي من أنبياء الله المرسلين عليهم الصلاة والسلام. وممن جمعها فأوعى أكثر من غيره الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي في كتابه: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، الجزء التاسع، في تسعمائة صفحة، وستة أبواب من الجزء الثامن، والإمام البيهقي، في كتابه الموسوعي: دلائل النبوة، في ثمانية مجلدات، والإمام السيوطي، في كتابه: الخصائص الكبرى، في مجلدين، وأبو نعيم الأصبهاني، في جزأين.

إن معظم مرويات المعجزات صحيحة، وقد ألف بعض الباحثين المحدثين كتباً جمع فيها الصحيح من دلائل النبوة[3].

وهل سيصدق بودلي بنبوة محمد ﷺ إذا قال إنه أتى بمعجزات؟ وأيهما أقوى وأبلغ في التصديق: القول أم الفعل؟ بالتأكيد الفعل أقوى وأبلغ في

---

(١) البخاري (٣٦٣٦–٣٦٣٧ و ٣٦٣٨)؛ مسلم (٢٨٠٠و ٢٨٠١ و ٢٨٠٢و ٢٨٠٣).

(٢) انظر في هذا: موريس بوكاي: الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة.

(٣) انظر: الوادعي: المسند الصحيح من دلائل النبوة.

التصديق. فالرسول ﷺ كان يفعل، أي: يُجري الله على يديه الأفعال الخارقة للعادة، وهي المعجزات، وهذه المعجزات هي التي تقول: إن هذا نبي، هذا رسول، وهذا هو الدليل. وماذا يعني يا بودلي أن يعطي الرسول ﷺ أبا قتادة ابن النعمان عرجوناً ويقول له: "خذ هذا العرجون، فتحصن به، فإنك إذا خرجت أضاء لك عشراً أمامك وعشراً خلفك"، قال: فخرجت، فأضاء لي العرجون مثل الشمعة.. القصة[1].

فهل بالضرورة أن يقول الرسول ﷺ لأبي قتادة: هذه معجزتي إليك، أو أن الرسول ﷺ يعلم ما أيده الله به، فأراد أن يحل لصاحبه مشكلة ظلمة الليل بفعل معجز لا يقع إلا على يد نبي مؤيد بالآيات من الله؟

وفوق هذا كله فإن معجزة الإسلام الخالدة التي تحدى بها العرب، أهل الفصاحة والبلاغة والبيان، هو القرآن الكريم نفسه[2]، كما في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]. وقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [هود: ١٣]. وقوله تعالى:

---

(١) انظرها في: أبو نعيم: دلائل النبوة (٢/٥٦٢/رقم ٥٠٥)؛ الطبراني: المعجم الكبير (١٩/١٤)؛ الهيثمي: مجمع الزوائد (٩/٣١٩)، وقال: رواه أحمد والطبراني والبزار، ورجاله رجال الصحيح، انظر أحمد: المسند (٣/٦٥)، ضمن حديث طويل، بعضه صحيح وبعضه حسن، كما قال محققو الموسوعة الحديثية -المسند (١٨/ح١١٦٢٤). وقصة قتادة والعرجون رواها ابن خزيمة في صحيحه (١٦٦٠)، كما قالوا.

(٢) انظر كتابنا: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ط٢، ج٢.

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٣-٢٤].

وهكذا تدرج القرآن في تحديه بمعجزته من الكل إلى الجزء.

أما تشكيكه في مشاركة الملائكة في القتال مع المسلمين ضد المشركين يوم بدر، فهو شك في غير محله، لأن هذه المشاركة ثابتة كذلك بنصوص قرآنية؛ منها قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]؛ وقوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [الأنفال: ١٢]؛ وثابتة بنصوص حديثية صحيحة؛ فقد روى مسلم[١]: "بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم[٢]، فنظر إلى المشرك أمامه، فخر مستلقياً، فنظر إليه، فإذا هو قد خطم أنفه، وشق وجهه كضربة السوط، فاخضرَّ ذلك أجمع. فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ، فقال: " صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة".

---

(١) صحيحه (٣/١٣٨٤ـــ١٣٨٥/برقم ١٧٦٣).

(٢) اسم فرس الملك، كما قال النووي في شرح صحيح مسلم (١٢/٨٦)، وابن الأثير في النهاية في غريب الحديث (١/٤٦٧).

وروى أحمد[1] أن ملكاً أسر العباس يوم بدر. وروى الأموي[2] وغيره أن الرسول ﷺ خفق خفقة في العريش ثم انتبه، فقال: "أبشر يا أبابكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل معتجر بعمامة، آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع [الغبار]، أتاك نصر الله وعدته".

وروى البخاري[3] أن النبي ﷺ قال يوم بدر: "هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب". وروى الحاكم[4] أنه كانت على الزبير يوم بدر عمامة صفراء معتجر بها، نزلت الملائكة عليهم عمائم صفر.

٤٠- يزعم بودلي[5] أن الرسول ﷺ عندما فرغ من غزوتي حنين والطائف عاد إلى مكة لإكمال شعائر الحج التي قطعتها غزوة حنين، ثم رجع إلى المدينة.

هذا خطأ تاريخي واضح. فالثابت تاريخياً أن الرسول ﷺ أقام بمكة عام الفتح تسعة عشر يوما، كما روى البخاري[6]، وروى غيره أنه أقام بها نصف شهر[7]. ولم يؤد شعائر العمرة خلال إقامته بمكة، ولم يؤد شعائر الحج

(١) المسند (٢/١٩٤/شاكر)، بإسناد صحيح كما قال المحقق شاكر.

(٢) نقله عنه ابن كثير في البداية والنهاية (٣/٣١٢)، من حديث ابن إسحاق بإسناد حسن لذاته.

(٣) البخاري /الفتح (١٥/١٨١/رقم ٣٩٩٥).

(٤) المستدرك (٣/٣٦١)، بإسناد صحيح.

(٥) الرسول، ص ٢٧٥.

(٦) الفتح (١٦/رقم ٤٢٩٨و ٤٢٩٩).

(٧) الطبري: التاريخ (٣/٧٠)، بإسناد مرسل موقوف على عروة، وله شاهد من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن، كما ذكر الذهبي في مغازيه، ص ٥٧١

كذلك، لأن فتح مكة لم يكن أصلاً في أيام الحج، بل كان في رمضـــان[1]. وكان خروجه إلى حنين في السادس من شوال، وقيل في الثامن والعشرين من رمضان[2]. والذي حج بالناس سنة الفتح هو عتاب بن أسيد، الذي استعمله الرسول ﷺ على مكة حين خرج إلى غزوة حنين والطائف[3].

أما ما فعله الرسول ﷺ بعد الفراغ من غزوتي حنين والطائف هو رجوعه إلى مكة لأداء العمرة من الجعرانة، في ذي القعدة، ثم العـــودة إلى المدينـــة و الوصول إليها في بقية ذي القعدة أو مطلع ذي الحجة[4]. ويبدو أن بـــودلي يخلط بين شعائر الحج وشعائر العمرة[5]. و لم يكن هذا الخطأ الوحيد عنـــده، فتراه ــــ مثلاً ــــ يقول إن من أول شعائر الحج خروج الحجاج من مكة إلى منى[6]. والصحيح أن أول شعائر الحج الإحرام. ويقول عن أحداث الحديبية: ".. وقد خرج معه ألف وخمسمائة حاج محرمين في ثيابهم البـــيض متـــأهبين للحج.."، والصواب أنهم خرجوا معتمرين لا حجاجاً[7].

---

(١) البخاري (٤٢٧٥)؛مسلم (٢/رقم ١١١٣)، ابن هشام (٤/٦٠)؛ من حديث ابن إسحاق بسند حسن.

(٢) انظر ابن حجر: الفتح (١٦/١٣٩/شرح حديث ترجمة الباب؛ البيهقي: الســـنن الكـــبرى (٣/١٥١)، النسائي: السنن (٣/١٠٠).

(٣) ابن حجر: الإصابة (٢/٤٥١)، بإسناد حسن كما قال ابن حجر، وكما قال الألباني في تعليقـــه علـــى أحاديث فقه السيرة للغزالي، ص ٤٣٣.

(٤) ابن هشام (٤/٢٠٠ــــ٢٠١)، من حديث ابن إسحاق، بدون إسناد.

(٥) وعن عدد عُمَرِه ﷺ وزمانها، انظر: سيد سابق: فقه السنة (١/٧٥٠)، فقد أورد حديث ابن عباس الذي رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه، بسند رجاله ثقات، فيه أن عمره أربع: الحديبية، والقضاء، والجعرانـــة، والتي مع حجته.

(٦) الرسول، ص ٢٨٨.

(٧) البخاري /الفتح (٨/٨٦/ح١٧٧٨).

٤١- يزعم بودلي[١] أن أبابكر كان له زوجة تقضي الصيف في ضواحي المدينة.

وهذا خطأ، والصواب أنه كان لأبي بكر منـزل بالسُّنح، وهي ضاحية من ضواحي المدينة، فيها منازل بني الحارث، أصهار أبي بكر، وكان بهذا المنـزل زوجته الثانية بنت خارجة الحارثية [نسبة إلى بني حارث — قومها] الأنصارية. وكان عندها يوم بلغه وفاة الرسول ﷺ[٢]. و لم تذكر المصادر أن هذه الزوجة كانت تقضي الصيف في ضواحي المدينة، ولذا فاستنتاج بودلي خاطئ. وقد ذكر درمنجهم[٣] — شيخه — أن أبا بكر جاء إلى المدينة مهاجراً، فأقام بمنـزل صغير بضاحية السُّنح.

٤٢- يقول بودلي[٤] إن خبر مجيء الحجر الأسود من الجنة من الأساطير.

لقد تعددت الروايات حول مصدر الحجر الأسود، ومعظمها ضعيفة، ولكن وردت رواية صحيحة الإسناد عند الطبري[٥]، تفيد بأن جبريل جاء به

(١) الرسول، ص ٣٠١.

(٢) البخاري /الفتح (١٦/رقم ٤٤٥٢، ٤٤٥٤)، و (١٣٨/٦/رقم ١٢٤١)، وقال ابن حجر عن السنح خلال شرحه لهذا الحديث: ".. منازل بني الحارث بن الخزرج، وكان أبو بكر متزوجاً فيهم"، السمهودي: وفاء الوفا بأخبار المصطفى (١٢٣٧/٤).

(٣) حياة محمد، ص ١٧٨.

(٤) الرسول، ص ١٦.

(٥) التفسير (٧٠/٣/رقم ٢٠٥٨)، بإسناد صحيح.

إلى إبراهيم عليه السلام من السماء أثناء بناء البيت. ولم تصرح الرواية بأنه جاء به من الجنة.

ولأن بودلي لا يستطيع التفريق بين الروايات الصحيحة والضعيفة، فلذا تراه يبني استنتاجاته على جرف هار. والعلماء المسلمون لا ينكرون وجود الإسرائيليات والأساطير التي أدخلها الإخباريون على السيرة والتاريخ الإسلامي، ولكنهم ينكرون على من يتصدى للتأليف الجهل بمناهج الحكم على الروايات والتفريق بين الصحيح والسقيم. وبودلي وأمثاله يفتقرون إلى هذا العلم والمنهج.

٤٣- ويقول: إن خبر بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام الكعبة من أساطير العرب[١].

وهذا خطأ كبير. فقد ثبت بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام الكعبة بنصوص قرآنية، منها قوله: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ ﴾ [البقرة: ١٢٧].

ومن الأحاديث والأخبار:

يروي أهل الحديث والتفسير والتاريخ أن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام شرعا في تنفيذ أمر الله سبحانه وتعالى ببناء البيت. فكان إبراهيم

(١) الرسول، ص ١٨. ولنا بحث منشور في مجلة "الدارة"، بعنوان: عمارة الكعبة المشرفة عبر العصور، تعرضنا فيه للحكم على الروايات المتعلقة بهذا الموضوع.

يبني[1] وإسماعيل يناوله الحجارة التي كان يأتي بها محمولة على رقبته[2]، ويقولان كما حكى الله عنهما في القرآن الكريم:﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[3] [البقرة: ١٢٧-١٢٩].

وعندما ارتفع البناء وضعف إبراهيم عليه السلام عن رفع الحجارة إلى مكان البناء، وذلك لكبر سنه[4]، جاءه ابنه إسماعيل بحجر ليقوم عليه أثناء البناء[5]، ويحوله في نواحي البيت حتى فرغ من البناء؛ وعرف هذا الحجر بمقام إبراهيم أو حجر المقام، لقيامه عليه أثناء البناء[6]. ولما وصل البناء إلى مكان معين يحتاج إلى حجر معين، طلب إبراهيم من إسماعيل أن يأتيه به، فانطلق يلتمس المطلوب، ولكن عندما عاد بحجر، وجد أن الحجر المطلوب قد ركب في مكانه المطلوب، فقال: يا أبتي: من أتاك بهذا الحجر؟ قال: أتاني به من لا

---

(١) البخاري / الفتح (١٤٩/١٣/برقم ٣٣٦٤).

(٢) الطبري: التفسير (٣/رقم ٣٣٦٥)؛ الأزرقي: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار (٣٢/٢).

(٣) البخاري / الفتح (١٥١/١٣/رقم ٣٣٦٥)؛ الأزرقي: أخبار مكة (٣٢/٢)، بإسناد صحيح.

(٤) البخاري / الفتح (١٥١/١٣/رقم ٣٣٦٥)؛ الأزرقي: أخبار مكة (٣٢/٢)؛ الطبري: التفسير (٦٨/٣/رقم٢٠٥٦).

(٥) البخاري / الفتح (١٥١/٣/رقم ٣٣٦٥)، الأزرقي (٣٢/٢).

(٦) البخاري / الفتح (١٤٩/١٣/رقم ٣٣٦٤)؛ الأزرقي: أخبار مكة (٣٢/٢).

يتكل على بنائك، جاء به جبريل من السماء[1].

٤٥- يقول بودلي[2] عن نساء الرسول ﷺ: "فقد أحبهن جسمانياً.. وكان آخر شيء يريده لهن هو أن يظللن في حالة الرق التي كن يعشنها لسنين قليلة خلت..".

إذا كان بودلي[3] نفسه يقول عن نساء النبي ﷺ: ".. وكانت عائشة هي البكر الوحيدة التي تزوجها، وكانت الأخريات مطلقات أو أرامل، وكان منهن خمس دميمات". إن الذي قاله بودلي هنا يدحض زعمه المذكور؟ فهل الذي يحب النساء جسمانياً يتزوج الأرامل والمطلقات، ومن في حجورهن الأطفال، والدميمات حسب زعمه؟!

فلو كان حب الرسول ﷺ لنسائه جسمانياً فقط، ولو كن يعشن معه حياة رق، كما يزعم، لما رغبن كلهن في البقاء معه حين خيرهن بين البقاء معه على شظف العيش أو أن يطلقهن ويسرحهن سراحاً جميلاً. وهذا ثابت في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩].

---

(١) الطبري " التفسير (٣/٧٠/برقم ٢٠٥٨)، وسنده صحيح.

(٢) الرسول /، ص ٢٠٤.

(٣) الرسول، ص ٢٠٤.

وثابت في الصحيحين[1] خاصة.

ولو كان الأمر أمر حياة رق، لما اختارت نساؤه حياة الرق، وهن من أشرف قبائل العرب، ومنهن من كان والدها من الزعماء والقادة في الحرب والسلم، أو أصحاب مكانة عالية في أقوامهم، مثل أم حبيبة بنت أبي سفيان، وعائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر، وصفية بنت حيي بن أخطب النضري، وجويرية بنت الحارث المصطلقي. فليس هناك ما يجبر أمثال هؤلاء النسوة على البقاء مع الرسول ﷺ في شظف من العيش اختياراً، على الرغم من أن بيوت آبائهن فيها كل ما يردنه من مُتَع الحياة الدنيا التي طالبن بها.

وقد ذكرنا في كتابنا: "السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية"، فصل أمهات المؤمنين[2]، أسباب زواج الرسول ﷺ من كل واحدة من زوجاته رضي الله عنهن وحكمة هذا التعدد، وفيه ما يغني عن الإعادة.

ثم إن حب الرجل للمرأة جسمانياً من كمال رجولته ودليل سلامة فطرته التي فطر الناس عليها لحفظ النوع البشري. وكذلك حب المرأة للرجل جسمانياً من كمال أنوثتها ودليل سلامة فطرتها التي فطر الله النساء عليها لحفظ النوع البشري. ولولا ذلك ما تحمل الرجال أعباء الزوجية. بل العيب أن يصرف الرجل أو المرأة الطاقة الجنسية بطرق محرمة شرعاً وعقلاً وعرفاً.

---

(١) البخاري / الفتح (١٨/١٣٦ـ١٣٩/رقم ٤٧٨٥ وما بعده)، مسلم (٢/١١٠٣ـ١١١٣/رقم ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨).

(٢) ط١، ص ٦٩٧ ــ ٧١٢. وانظر كذلك الجزء الثاني من الطبعة الثانية.

٤٥- يقول بودلي[(١)]: "وما كان الذهاب إلى المسجد دليلاً على رسوخ الإيمان..".

إن هذا الكلام ليس على إطلاقه كما يفهم من كلام بودلي، لأن الرسول ﷺ نفسه قال: "إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان"، وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَاخِرِ﴾ [التوبة: ١٨] [(٢)]، وفي رواية أخرى: "إذا رأيتم الرجل يلزم المسجد فلا تحرجوا أن تشهدوا أنه مؤمن، فإن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٨][(٣)]".

فالذي يرتاد المساجد لأداء الصلوات الخمس مع أول جماعة وفي جميع الظروف المناخية والعملية ودون رياء أو رجاء أمور دنيوية، لا بد أن يكون راسخ الإيمان. لأنه ليس هناك ما يجبره على ترك كل شهواته الدنيوية لأداء الصلاة في جماعة في المساجد، إلا رسوخ الإيمان.

أما إذا كان بودلي وغيره قد رأى أفراداً من المسلمين يصلون بعض

---

(١) الرسول، ص ٨٢.

(٢) رواه أحمد: المسند (٣/٦٨-٧٦)، وضعف إسناده محقق الموسوعة الحديثية ــ المسند (١٨/ح١١٦٥١، ١١٧٢٥)، وممن رواه: ابن خزيمة في صحيحه (١٥٠٢)، وابن عدي في الكامل (٣/٩٨١)، وهذا يعني أنه مما يحتج به في فضائل الأعمال؛ ابن ماجه (٢٨٠٢)، ابن خزيمة (١٥٠٢)، الترمذي (٢٦١٧، ٣٠٩٣) وحسنه الدارمي (١٢٢٦)؛ الحاكم: المستدرك (١/٢١٢)، وصححه من حديث أبي سعيد الخدري.

(٣) الحاكم (٢/٣٣٢)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

الصلوات مع الناس جماعة في المساجد وليس في سلوكهم ما يعكس أخلاق الإسلام، فهؤلاء - إما يجهلون الدين أو منافقون - وقد وجد أمثالهم حتى في حياة الرسول ﷺ، ومن الظلم أن يقال إن الذهاب إلى المسجد لا يعد دليلاً على رسوخ الإيمان.

ولعل مهمة بودلي الرئيسة بوجوده وسط بدو الحجاز هو دراسة مثل هذه الظواهر السالبة عند بعض المسلمين ليدبج التقارير إلى دول الاستعمار، ليستعينوا بها في خططهم السرية للسيطرة على هذه المناطق وغيرها من بلاد الإسلام.

٤٦- يُنَصِّب بودلي نفسه مفتياً في حكم الحلال والحرام في الشريعة الإسلامية.

فتحريم لحم الخنزير عنده يرجع إلى رداءة مراعي الخنازير وقذارها في الشرق، ولأن العرب لا يعرفون كيف يطيبون لحومها، ولا يعرفون طريقة طهيها.

ويقول عن تحريم الخمر: "ويرجع تحريم الخمر إلى شغف العرب بنوع من المشروبات الروحية المستخرجة من البلح، فلو كانت بلاد العرب، بلاد نبيذ فربما أدى ذلك إلى عدم التفكير جملة في تحريم الخمر، ولكن لم تكن بلاد العرب لتنتج نبيذاً"(١).

نقول: إن مضار أكل لحم الخنزير وشرب الخمور وتعاطي المخدرات

---

(١) الرسول، ص ٨٣.

بجميع أنواعها من الأمور التي اعترف بها العلماء من الغرب نفسه، ولم يعد الأمر بحاجة إلى زيادة على ما قالوه[1]. وفوق هذا كله فإن تحريم أكل الخنـــزير وشرب الخمر قد نزل به الوحي على الرسول ﷺ. وهو العالم بأحوال الناس في كل زمان ومكان. ولا تعقيب لبشر على حكم الله. ولو كان بودلي مسلماً مؤمناً ما تجرأ على مثل هذا القول. لأن في قوله هذا تجهيلاً لله سبحانه وتعالى، القائل في الخنـــزير: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١٧٣]، و: ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، و: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ [المائدة: ٣]. والقائل في آخر مراحل تحريم الخمر - ومضار جميع أنواعها واحدة -: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾ [المائدة: ٩٠].

وهل اليهودية والنصرانية الصحيحة غير المحرفة تبيح أي نوع من أنـــواع الخمور؟! قطعاً لا.

وهل صحيح أن بلاد العرب لم تكن بلاد نبيذ كما يزعم بودلي؟ نقول: إن النبيذ كان معروفاً في مكة وغيرها قبل بعثة الرسول ﷺ. فمـــثلاً يقـــول

---

(١) انظر د. صالح بن عبدالعزيز آل منصور: موقف الإسلام من الخمر، ط٢، دار النصر للطباعة الإسلامية، القاهرة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ٢١٨ صفحة. والأبحاث المتعلقة بمضار الخمر كثيرة، ولم يعد هناك من يكابر في هذا، وبخاصة أن شهادة الطب الحديث جاءت مطابقة لما جاء في الحديث أنها أم الخبائث وأنها رجس.

السهيلي[1] في معرض كلامه عن آبار قريش: "ذكروا أن قصياً كان يسقي الحجيج في حياض من أدم، وكان ينقل الماء إليها من آبار خارج مكة، منها: بئر ميمون الحضرمي. وكان ينبذ لهم الزبيب".

وروى الأزرقي[2]، أن قريشاً كانت تعالج ماء زمزم بالزبيب، كانت تنبذ فيه الزبيب في مواسم الحج وتسقيه الحجاج. وعرف الزبيب كذلك في عهد الرسول ﷺ. وقال عنه ﷺ: "انبذوه على غدائكم واشربوه على عشائكم"[3].

وروى وكيع[4] - أبوبكر محمد بن خلف بن حيان - أن سعد بن إبراهيم، قاضي المدينة في خلافة يزيد بن عبدالملك بن مروان، كان يشرب نبيذ الزبيب، إذا نوى الصيام، ليزيل عنه البلغم والعطش.

وروى ابن شبة[5] أن عثمان بن عفان ﵁ كان يأمر فتنقع له عجوة، فينام نومة من أول الليل ثم يقوم فيأكلها ويشرب ماءها، ثم يصلي حتى يصبح، فإن لم تكن عجوة فزبيب.

وذكر المؤرخ العراقي المعاصر جواد علي[6] -بناء على مصادره الأصلية- أن العرب في الجاهلية عرفت الخمر المصنوع من الزبيب.

---

(١) الروض الأنف (١/١٧٢).

(٢) أخبار مكة (١/١١٣ــ١١٤).

(٣) أبو داود: السنن (٢/٢٩٩-٣٠٠) وإسناده حسن صحيح، كما قال الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٣٧١٠)، مكتبة المعارف، الرياض، ط١ ص:٥٦١.

(٤) أخبار القضاة (١/١٦٥ــ١٦٦)، بيروت، عالم الكتب.

(٥) أخبار المدينة المنورة، المجلد السادس، الجزء الثالث، ص ٢٠٣ــ٢٠٤، تحقيق عبدالله محمد الدويش.

(٦) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٠م (٤/٦٦٩).

وطبعاً الذي يعنيه الرسول ﷺ وقاضي المدينة ليس الذي يصل إلى درجة الخمر المسكرة، لأن أي مسكر حرام في الشريعة الإسلامية، كثر أو قل. روي أن امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها: نجعل التمر في الكوز، فنطبخه نبيذاً، فنشربه، فقالت عائشة:"اشربي ولا تشربي مسكراً"[1]، وقالت عائشة:كنت آخذ قبضة من تمر وقبضة من زبيب[2] فألقيه في إناء فأمرسه ثم أسقيه النبي ﷺ[3].

٤٧- ويزعم بودلي بأن محمداً رسول لا نبي.

ويعلل هذا بقوله: "وكلمة نبي تعني ناصحاً أو هادياً - وإن كان محمد ينعت بها أحياناً - إلا أن رسول الله هي الصفة الصحيحة التي ينعت بها، فهي التي تعني صاحب الرسالة"[4].

إن هذه الفتوى البودلية لا تستند إلى تفسير صحيح لصفة النبوة. فمعروف أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً. ومحمد ﷺ نبي ورسول، فعندما قال البراء بن عازب رضي الله عنه:"ورسولك الذي أرسلت"، رد عليه الرسول ﷺ مصححاً، فقال: "ونبيك الذي أرسلت"[5].

---

(١) عبدالرزاق: المصنف (٩/٢٠٨).

(٢) وورود كلمة زبيب في هذا الأثر يدل على وجود الزبيب في المدينة.

(٣) أبو داود: السنن (٢/٢٩٩).

(٤) الرسول، ص ٧٥.

(٥) رواه البخاري في صحيحه برقم (٢٤٧)، ومسلم برقم (٢٧١٠).

قال ابن الأثير كما نقل عنه ابن منظور:[1]"إنما رد عليه ليختلف اللفظان، و يجمع له الثناء بين معنى النبوة والرسالة، ويكون تقديراً للنعمة في الحالين، وتعظيماً للمنة على الوجهين، والرسول أخص من النبي، لأن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً".

والنبوة هي الإخبار عن الله تعالى، وتلك كانت وظيفة الأنبياء والرسل عليهم السلام، الذين منهم محمد ﷺ، فالقرآن الكريم هو ما أخبره الله به بواسطة الوحي ليبلغه إلى الناس الذين أرسل إليهم، ليهديهم به إلى الطريق الصحيح الذي يريده الله لهم. فمحمد بهذه الصفة نبي ورسول، وكلتا الصفتين صحيحة، وليس كما يزعم بودلي " أنه رسول لا نبي وأن الصفة الصحيحة هي رسول ". نعم من معاني كلمة النبي " الطريق "[2]، والأنبياء " طرق الهدى"، فهم يهدون الناس إلى الطرق الصحيحة[3].

لقد وردت كلمة نبي صفة لمحمد ﷺ في تسع وثلاثين آية من القرآن[4]. فهل هذا العدد ما يمكن أن نطلق عليه عبارة بودلي: "وإن كان محمد ينعت بها [أي صفة النبوة] أحياناً". وهل يجوز لبشر أن يعقب على كلمات الله؟!(لا تعقيب لكلماته)، وهل إذا وردت كلمة الرسول صفة لمحمد ﷺ أكثر مما وردت كلمة النبي صفة له، يجوز لنا وصف الصفة الأكثر وروداً بأنها

---

(١) لسان العرب (١٦٣/١)، حرف النون والباء والهمزة.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) المرجع نفسه (٣٠٣/١٥)، حرف النون والباء والياء.

(٤) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، إعداد محمد فؤاد عبدالباقي.

الصفة الصحيحة؟!إضافة إلى هذا وردت صفة النبي لرسولنا محمد ﷺ أكثر من مائة وثلاثين مرة في كتب السنة، وفيها التصريح بـأنه نبي قبل الرسالة[1].

٤٨- يذكر بودلي[2] أن حسان بن ثابت قال شعراً لاذعاً في حديث الإفك يسيء إلى النبي ﷺ وعائشة رضي الله عنها.

إن الذي تذكره المصادر أن حساناً كان ممن خاض في حديث الإفك الذي يلوكه المنافقون[3]، والراجح أنه كان ممن جلد حد القذف[4]. ولم نقف على شعره اللاذع الذي يسيء إلى النبي ﷺ وإلى عائشة رضي الله عنها. فالذي تذكره المصادر هو شعره الذي رواه ابن إسحاق[5]، وقال إنه كان يعرض فيه بصفوان بن المعطل وبمن أسلم من العرب المضريين، ونصه:

أمسى الجلابيبُ[6] قد عزُّوا وقد كَثُروا   وابنُ الفُرَيْعَة[7] أمسى بيضةَ[8] البَلَدِ
قد ثُكِلَتْ[9] أُمُّه مَنْ كنتُ صاحِبَه   أو كان منتشباً في بُرْثُنِ[10] الأَسَدِ

---

(١) انظر: فنسنك: مفتاح كنوز السنة، كلمة النبي، ص ٤٩٤.

(٢) الرسول، ص ١٩٩.

(٣) البخاري (فتح الباري ٨/ ٣٤٥-٣٤٦) (رقم ٤٧٥٧)، وفيه أنه خاض فيه؛ الترمذي (٣١٨١)؛ عبدالرزاق: المصنف (١٩/٥)؛ أحمد (٣٥/٦)، بإسناد ابن إسحاق؛ ابن هشام (٤١٨/٣)، من حديث ابن إسحاق الذي رواه عنه أصحاب السنن، ولم يصرح فيه بالسماع، ولكن يكفي صحة رواية البخاري لمتنه.

(٤) انظر المصادر نفسها، وابن حجر: الفتح (٧٨/١٨).

(٥) ابن هشام (٤٢١/٣-٤٢٢)، بدون إسناد.

(٦) الجلابيب: الغرباء.

(٧) ابن الفريعة: يعني نفسه، والفريعة أمه.

(٨) بيضة البلد: تعني العظيم في قومه أو الذليل الذي ليس معه أحد.

(٩) ثكلت: فقدت.

(١٠) البرثن: جمعه براثن، بمنزلة الأصابع للناس، وقيل بمنزلة الأظافر.

ما لقتيلـــي الـــذي أغـــدو فآخُـــذُه　　　مِنْ ديـــة فيـــه يُعْطَاهـــا ولا قَـــوَدِ[1]

ما البحرُ حين تَهُبُّ الـــريحُ شـــاميةً　　　فَيَغْطئِلُّ[2] ويَرْمـــي العِبْـــرَ[3]بالزبـــد

يوماً بأغلـــبَ مـــني حـــين تُبْصِـــرُني　　　مِلْغَيْظَ أَفْري[4]كفَرْي العارض[5] البرِدِ[6]

أمَّا قـــرَيْشٌ فـــإني لـــن أســـالمهم　　　حتى يُنيبوا[7] من الغيَّـــاتِ[8] للرشَـــد

ويَتْرُكوا الـــلاتَ والعُـــزَّى بِمَعْزِلـــةٍ　　　ويسجدوا كلُّهم للواحـــد الصَّـــمَد

ويشهدوا أنَّ ما قالَ الرســـولُ لهـــم　　　حقٌّ ويُوفـــوا بعهـــد الله والوُكَـــدِ[9]

قال ابن إسحاق[10]: "فاعترضه صفوان بن المعطل، فضربه بالسيف، ثم قال: كما حدثني يعقوب بن عتبة:

تَلَقَّ ذُبـــابَ الســـيف عـــني فـــإنني　　　غلامٌ إذا هوجيـــت لســـت بشـــاعر

وقال ابن إسحاق[11]: وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي: أن

---

(١) القود: قتل النفس بالنفس.

(٢) يَغْطَئِلُّ: يموج ويتحرك.

(٣) العبر: جانب البحر.

(٤) ملغيظ أفري: أقطع من الغيظ.

(٥) العارض: السحاب.

(٦) البرد: الذي فيه برد.

(٧) ينيبوا: يرجعوا.

(٨) الغيات: جمع غي، وهو خلاف الرشد.

(٩) الوكد: توكيد العهد.

(١٠) ابن هشام (٤٢٢/٣)، بإسناد منقطع.

(١١) المصدر نفسه (٤٢٢/٣- ٤٢٣)، بإسناد منقطع، ورواه من هذا الطريق الطبري في التاريخ (٦١٨/٢-٦١٩)، والبيهقي في الدلائل (٧٤/٤-٧٥)، ولكن وصله موسى بن عقبة في مغازيه عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، وسنده صحيح، كما قال ابن حجر في "تعجيل المنفعة"، ص١٢٨، وأورده الهيثمـــي في المجمع (٢٣٤/٩-٢٣٦)، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

ثابت بن قيس بن الشماس وثب على صفوان بن المعطل، حين ضرب حساناً، فجمع يديه إلى عنقه بحبل، ثم انطلق به إلى قومه دار بني الحارث بن الخزرج، فلقيه عبدالله بن رواحة، فقال له: ما هذا؟ قال: أما أُعَجِّبُك ضرب حسان بالسيف! والله ما أراه إلا قد قتله، قال له عبدالله بن رواحة: هل علم رسول الله ﷺ بشيء مما صنعت؟ قال: لا والله، قال: لقد اجترأت، أطلق الرجل، فأطلقه، ثم أتوا رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له، فدعا حسان وصفوان بن المعطل، فقال ابن المعطل: يا رسول الله: آذاني وهجاني، فاحتملني الغضب فضربتُه، فقال رسول الله ﷺ لحسان: أحسِنْ يا حسان، أَتَشَوَّهْت[1] على قومي، أن هداهم الله للإسلام، ثم قال: "أحسن يا حسان في الذي أصابك، قال: هي لك يا رسول الله".

وقال ابن إسحاق[2]: إن رسول الله ﷺ أعطى حساناً عوضاً عن تلك الضربة بيرحاء، وهي قصر بني حُديلة. اليوم بالمدينة، وكانت مالاً لأبي طلحة ابن سهل، تصدق بها إلى رسول الله ﷺ.. وأعطاه سيرين، أمة قبطية، أخت مارية رضي الله عنها، فولدت له عبدالرحمن.

إن المتأمِّلَ لشعر حسانَ الذي ذكرناه وخبر المصالحة التي عقدها الرسول ﷺ بين حسان وصفوان، ومنح الرسول ﷺ سيرين وبيرحاء لحسان، يدل على أن حساناً لم يقل شعراً لاذعاً في حديث الإفك يسيء إلى النبي ﷺ وعائشة

---

(١) أتشوهت: أقبحت ذلك من فعلهم حين سميتهم بالجلابيب من أجل هجرهم إلى الله ورسوله؟

(٢) ابن هشام (٣/٤٢٣-٤٢٤)، وإسناده منقطع.

رضي الله عنها، وإنما خاض مع من خاض بالكلام العادي في أمر الإفك بما يفيد تصديقه لافتراء المنافقين، وقد تاب مع من تاب من المؤمنين الذين غرر بهم المنافقون، ولذا كان موقف الرسول ﷺ وعائشة رضي الله عنها بعد الإفك موقفاً متسامحاً، وهو موقف لا يريده بودلي ومشايخه، بل هناك من العلماء من قال بعدم خوض حسان في حديث الإفك بما يسيء إلى عائشة رضي الله عنها[1]، واستدلوا ببيته الشعري:

فإن كنتُ قد قلتُ الذي قد زعمتمُ ... فلا رَفَعَتْ سوطي إليَّ أناملي

ويبدو لنا أن سبب ضرب صفوان لحسان بالسيف هو تعريضه به في غير هذه الأبيات، وحفز صفوان لهذا الفعل أمر آخر هو أن الرسول ﷺ عندما بلغه قول حسان: "أمسى الجلابيب"، قال: من لي بأصحاب البساط؟ يعني حساناً وأصحاباً له كانوا يجلسون على بساط لحسان في أجمة فارع[2]. فقال حسان يوماً وهو جالس مع أصحابه يرى كثرة مَنْ يأتي رسول الله ﷺ من العرب يُسْلمون؛ فقال صفوان بن المعطل: أنا لك يا رسول الله منهم، فخرج إليهم واخترط سيفه، فلما رأوه مقبلاً عرفوا في وجهه الشر، ففروا وتبددوا. وأدرك حساناً داخلاً بيته، فضربه.."[3] القصة.

---

(١) انظر: ابن حجر، الفتح (١٨/٨٧/٩٠) شرح الحديث رقم ٤٧٥٠، ونسب إنكار وقوع الحدّ بالذين قذفوا عائشة إلى الماوردي، ولم يوافق ابن حجر الماوردي فيما ذهب إليه.

(٢) أجمة فارع: الشجر الكثير الملتف العالي.

(٣) نور الدين علي بن محمد السمهودي: الوفا بأخبار دار المصطفى، ط٤، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م (٣/٩٦٢—٩٦٣)، من رواية عقبة عن

=

والسؤال هنا: لماذا يشير بودلي إلى الشعر اللاذع الذي قاله حسان في حديث الإفك كما يزعم، و لم يشر إلى الشعر الذي يبرئ عائشة رضي الله عنها مما نسب إليها من الإفك؟

لقد غرر المنافقون بحسان وحمنة ومسطح رضي الله عنهم: الثلاثة الذين أقيم عليهم حد القذف، فقالوا ما قالوا، ولكنهم أيقنوا بخطئهم عندما نزل القرآن مبينا الحقيقة في أمر الإفك، وتابوا، وقال حسان شعراً يدل على توبته واعتذاره عن خطئه. ومما رواه ابن هشام[1] عنه في حق عائشة رضي الله عنها:

حَصَانٌ[2] رزانٌ[3] ما تُزَنُّ[4] بريبة	**وتصبح غَرْثى[5] من لحوم الغوافل[6]**
عقيلة[7] حيٍّ من لؤي بن غالب	**كرام المساعي[8] مجدهُم غيرُ زائل**
مهذبة[9] قد طيَّب الله خيمها[10]	**وطَهَّرها من كل سوء وباطل**

= العطاف بن خالد.

(١) السيرة النبوية (٣/٤٢٤ــ٤٢٥)، بدون إسناد.

(٢) حصان: عفيفة.

(٣) رزان: عاقلة أو رزينة أو ملازمة لموضعها لا تنصرف عنه كثيراً.

(٤) تزن: ترمى وتتهم.

(٥) غرثى: جائعة.

(٦) الغوافل: جمع غافلة، وهي الغافلة عن الإثم.

(٧) عقيلة: كريمة.

(٨) المساعي: جمع مسعاة، وهي ما يسعى فيه من طلب المجد والمكارم.

(٩) مهذبة: صافية مخلصة.

(١٠) الخيم: الطبيعة.

فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتم فلا رفعت سوطي إليَّ أناملي[١]

وكيف وودي ما حييت ونصرتي لآل رسول الله زَيْنِ المحافل

له رُتبٌ[٢] عالٍ على الناس كلّهم تقاصرُ عنه سورة[٣] المتطاول

فإن الذي قد قيل ليس بلائط[٤] ولكنه قول امرئ بي ماحل[٥]

والبيت الأول "حصان.. " من رواية البخاري[٦]، وللعلماء تفصيل حول رواية الأبيات الشعرية المذكورة[٧]. وأوردوا أبياتاً أخرى بهذا الشأن من رواية الحاكم من غير طريق ابن إسحاق، وهي:

حليلةُ خيرِ الخلقِ ديناً ومنصباً نبي الهدى والمكرمات الفواضل

رأيتُك وليغفر لك الله حرةً من المحصنات غير ذات الغوائل[٨]

وعندما وصل حسان إلى أرذل العمر وذهب بصره، كان يدخل على عائشة رضي الله عنها، بإذنها، وتكره من يسبه عندها، وتعتذر له بأنه كان ينافح عن رسول الله وآل بيته، وتذكر الناس بقول حسان:

فإن أبي ووالدتي وعِرْضي لعِرْض محمد منكم وقاء[٩]

---

(١) الأنامل: أطراف الأصابع أو الأصابع كلها.

(٢) رتب: من رواه بضم الراء فهو جمع رتبة وهي المنزلة، ومن رواه بفتح الراء فهو الموضع المشرف من الأرض، فاستعاره هنا للشرف والمجد.

(٣) السورة: بفتح السين: الوثبة، وبضمها: المنزلة.

(٤) بلائط: بلاصق.

(٥) الماحل: النمام.

(٦) مع الفتح (١٨/٩٥/شرح الحديث رقم ٤٧٥٦).

(٧) انظر ابن حجر: الفتح (١٨/٩٥/شرح الحديث رقم ٤٧٥٦).

(٨) ابن حجر: الفتح (١٨/٩٥ـ٩٦).

(٩) البخاري / الفتح (١٦/٤/رقم ٤١٤١)، ابن حجر: الفتح (١٨/٩٥ـ٩٦).

إن هذا الشعر الذي ذكرناه واردٌ في مصادر السيرة النبوية وكتب الأدب. ولكن لم يشر إليه بودلي، لأنه يساير أساتذته المستشرقين في التشكيك في براءة عائشة مما نسب إليها من حديث الإفك، ويكذبون القرآن والسنة وصحيح الأخبار؛ ولا يرجع هو وأمثاله إلى المصادر الأصلية. وقد وقفنا على هذا المنهج الانتقائي للأخبار التي تحقق لهم أغراضهم الخبيثة.

٤٩- يذكر بودلي أن الرسول ﷺ كان مسترضعاً في بني ساعدة[١].

وهذا خطأ؛ والصواب أن استرضاعه كان في بني سعد[٢]، ولعل الخطأ من المترجمين أو من ترجمة المؤلف من لغة أخرى غير العربية، ويحدث هذا التحريف في الكتب المترجمة، وذلك إذا أحسنَّا الظن في بودلي في هذه المسألة التي لا تتعلق بالأحكام الشرعية أو العقيدة.

٥٠- يوزع بودلي الشتائم على أصحاب النبي ﷺ بمناسبة وبغير مناسبة.

ومثال ذلك، إضافة إلى ما سبق، قوله عن العباس بن عبدالمطلب -عم النبي ﷺ-: "وكان العباس خبيثاً.."[٣]. ويصفه بالانتهازية، زاعماً أنه لم

---

(١) الرسول، ص ٢٧٣.

(٢) مسلم (١/١٤٧/رقم ٢٦١)؛ الحاكم (٢/٦٠٠)، بإسناد صحيح، أحمد: المسند (٤/١٢٧-١٢٨)، بإسناد حسن؛ ابن هشام (١/٢١٩)، من حديث ابن إسحاق، بإسناد جيد، كما قال ابن كثير في البداية (٢/٢٩٩)، وغيرهم.

(٣) الرسول، ص ٢٦٧.

يرغب في تمريض النبي ﷺ عند عائشة رضي الله عنها في حين كان اليوم يوم ميمونة أخت زوجته، ليستغل آخر لحظات حياة الرسول ﷺ في الإشارة إلى أحقية بني هاشم بالخلافة من بعده[1].

وهل هذه الشتائم والتخرصات تستحق أن نقف عندها؟!

٥١- يرسم بودلي الاسم " مخيريق" هكذا " مقريش"[2] وهـذا خطأ، والصواب ما ذكرناه " مخيريق"[3]. ويزعم أنه لم يُسْلم أبداً، ولكنه كان معجباً بمحمد، فشاء أن يقدم بعض دلائل تقديره، ولذا أوصى بأمواله لمحمد يضعها حيث يشاء إذا مات. ويزعم أنه عندما مات دفنه محمد خارج مقابر المسلمين مباشرة[4].

لقد ذكر الواقدي[5] إسلام مخيريق، ونص روايته: قالوا: وكان مخيريق اليهودي من أحبار اليهود، فقال يوم السبت ورسول الله ﷺ بأحد: يا معشر اليهود، والله إنكم لتعلمون أن محمداً نبي، وأن نصره عليكم لحق. قالوا: إن اليوم يوم السبت. قال: لا سبت! ثم أخذ سلاحه، ثم حضر مع النبي ﷺ، فأصابه القتل، فقال رسول الله ﷺ: مخيريق خير يهود. وقد كان مخيريق حين خرج إلى أحد قال: إن أصبت فأموالي لمحمد يضعها حيث أراد الله! فهي عامة

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢٩٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٠٦.

(٣) انظر مثلاً: ابن هشام (١٢٩/٣)؛ ابن سعد (٥٠١/١).

(٤) الرسول، ص ٢٠٧.

(٥) المغازي (٢٦٢/١ـ٢٦٣)، وقال الشامي في السبل (٣١٢/٤) ك "ذكر محمد بن عمر الأسلمي الواقدي" أنه أسلم.

صدقات النبي ﷺ.

وروى ابنُ شَبَّة[1] روايتين من حديث الواقدي في وصية مخيريق بماله لمحمد ﷺ يضعه حيث شاء، الأولى بسنده إلى عبدالله بن كعب بن مالك، والثانية بسنده إلى عثمان بن وثاب. وروى بسنده إلى الزهري أن الرسول ﷺ قال: "مخيريق سابق يهود، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة"[2].

وأورد ابن حجر[3] من رواية الزبير بن بكار في أخبار المدينة بسنده إلى عثمان بن كعب بن محمد بن كعب بمثل رواية الواقدي في قصة مخيريق يوم أحد. وروى ابن سعد[4] خمس روايات من طريق شيخه الواقدي بمعنى روايتي ابن شيبة من حديث الواقدي، الأولى موقوفة على محمد بن كعب القرظي، والثانية على عبدالله بن كعب بن مالك - وهي أولى روايات ابن شبة - والثالثة على عمر بن عبدالعزيز، سمعها عمر من مشيخة المهاجرين والأنصار عندما كان والياً على المدينة، والرابعة على أبي وَجْزَة يزيد بن عبيد الأنصاري، والخامسة على عثمان بن وثاب، وهي الثانية عند ابن شبة.

وروى كذلك ابن إسحاق[5] قصة مصرعه يوم أحد ووصيته بماله لمحمد ﷺ يصنع فيه ما يشاء، وقول الرسول ﷺ فيه: "مخيريق خير يهود"[6].

من الواضح أن ابن حجر عندما عدَّ مخيريق من الصحابة وترجم له في

---

(١) أخبار المدينة، م٦، ج١، ص ١٧١.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦٩.

(٣) الإصابة (٣/٣٩٣).

(٤) الطبقات (١/٥٠١-٥٠٢).

(٥) ابن هشام (٣/١٢٩ـ١٣١).

(٦) المصدر نفسه، (٣/١٣١)، بلاغاً.

الإصابة كان يستند إلى هذه الروايات التي تدل على أن لقصته وإسلامه يوم أحد أصلاً.

ومن العجيب أن يهمل بودلي رواية الواقدي التي ذكرت إسلام مخيريق أو على الأقل إيمانه بنبوة محمد ﷺ، ويستند في زعمه على عدم إسلامه ودفنه خارج مقابر المسلمين مباشرة، على رواية أبي وجزة يزيد بن عبيد السعدي عند ابن سعد[1] من حديث الواقدي، التي فيها: ".. وجد مخيريق مقتولاً به جراح، فدفن ناحية من مقابر المسلمين، ولم يصلِّ عليه، ولم يسمع رسول الله ﷺ يومئذ ولا بعده يترحم عليه، ولم يزده على أن قال: مخيريق خير يهود. فهذا أمره".

فلو كان بودلي منهجياً أميناً لما فعل هذا، وهذا المنهج الانتقائي للروايات ليس غريباً في كتابات المستشرقين المتعصبين. فهم لا يريدون أي بينات على تصديق اليهود والنصارى بنبوة ورسالة محمد ﷺ. ولذا فهم ينتقون الروايات التي تدعم هذا الاتجاه.

وهناك حقيقة تاريخية أغفلها بودلي حين اعتمد رواية أبي وجزة دون غيرها. وهي أن الرسول ﷺ لم يستعن بغير المسلمين في جميع حروبه ضد المشركين، وبصفة خاصة رفضه الاستعانة باليهود المشركين يوم أحد. وقد أشرنا إلى هذا كله عند دحضنا لزعم بودلي اشتراك جماعة من غير المسلمين في معركة بدر الكبرى.

والسؤال البدهي: كيف يرفض الرسول ﷺ اشتراك جماعة من اليهود لم

---

(١) الطبقات (٥٠٢/١).

يسلموا -يوم أحد- ويقبل اشتراك يهودي واحد لم يسلم؟! وكان في أمس الحاجة لقوة غير المسلمين في ذلك الوقت العصيب، وقت انسحاب عبدالله ابن أبي بن سلول بثلثي الجيش الإسلامي، ليصبح عدد المسلمين نحو سبعمائة مجاهد مقابل ثلاثة آلاف مقاتل من مشركي مكة!!

أما مسألة عدم الصلاة عليه، فلم يكن وحده الذي لم يصل عليه الرسول ﷺ، لأن في الصلاة على الشهداء خلاف بين العلماء.والأحاديث التي وردت في الصلاة عليهم لا تقوى على معارضة أحاديث نفي الصلاة عليهم[1].

أما زعمه بأن الرسول ﷺ لم يزده على أن قال: "مخيريق خير يهود"، فهو كذلك غير صحيح، وذلك بدليل رواية الواقدي التي عند ابن شبة من حديث الزهري، والتي يقول: "مخيريق سابق يهود". وقد أهمل بودلي هذه الرواية، لأنه يمكن الاستدلال منها على إسلام مخيريق. فحديث الرسول ﷺ هنا يعني أنه مثل سلمان وبلال رضي الله عنهم، كان مثالاً لليهود الذين سبقوا إلى الدخول في الإسلام.

وليس بمستغرب أن يكتم إسلامه أو يكون متردداً إلى أن تأتي لحظة حاسمة فيقرر ترك التردد ويبدأ إعلان إسلامه بذروة الإسلام ـ الجهاد بالسيف - مثل أصيرم بني عبدالأشهل - عمرو بن ثابت بن أقيش أو دقش - الذي كان كارهاً للإسلام حتى كان يوم أحد، فأسلم حينها ولحق بالمسلمين في ميدان المعركة بأحد، وقاتل حتى نال الشهادة، وما صلى الله صلاة

---

(١) انظر مهدي رزق الله أحمد: السيرة النبوية، ط١، ص ٢٩٩ ـ ٤٠٠.

واحدة[1]. وفي قصته الصحيحة ما يفيد بأن المسلمين ما كانوا يقبلون أن يجاهد معهم غير مسلم. فعندما رآه المسلمون في ميدان المعركة قالوا له: إليك عنا يا عمرو، قال: إني قد آمنت[2]. وهذا يشهد لرواية الواقدي بأن مخيريق أسلم ولحق بالمسلمين يوم أحد، ولم يردوه عنهم لما علموه من إسلامه.

وهناك سؤال بدهي يتبادر إلى الذهن، وهو لماذا اعتمد بودلي رواية الواقدي في سبب زواج الرسول ﷺ من زينب بنت جحش رضي الله عنها، ولم يعتمد روايته في إسلام مخيريق؟! والجواب البدهي هو أن بودلي ينتقي الروايات التي يشمُّ منها رائحة الطعن في نبي الإسلام أو الإسلام ورموزه.

---

(١) روى قصته ابن إسحاق بإسناد حسن كما في سيرة ابن هشام (١٣١/٣)؛ أبو داود: السنن (٤٣/٣/ك. الجهاد /رقم ٣٧٢٥)، الحاكم: المستدرك (٢٨/٣)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) انظر المصادر المذكورة نفسها، وكذلك الشامي: السبل (٣١٣/٤).

خلاصة البحث

اتضح من خلال هذا البحث أن بودلي وقع في الأخطاء المنهجية التي وقع فيها كثير من المستشرقين الذين تناولوا الدراسات الإسلامية بصفة عامة والسيرة النبوية بصفة خاصة، من أبرزها:

١- تجاهل مصادر السيرة النبوية الأصلية، والاعتماد على مؤلفات المستشرقين الذين سبقوه.

٢- انتقاء الأخبار الضعيفة التي يوردها من سبقه من أساتذته المستشرقين، وتجاهل الروايات الصحيحة أو التشكيك في صحتها.

٣- التشكيك في القرآن الكريم والزعم بأنه من تأليف محمد ﷺ، وملفق من مصادر يهودية ونصرانية ووثنية.

٤- التشكيك في نبوة محمد ﷺ وإعجابه به مصلحاً اجتماعياً فقط. واستتبع هذا التشكيك إنكار المعجزات وغيرها من الغيبيات.

٥- سلوك منهج التفسير الشخصي الذي يعكس ثقافته المغايرة للثقافة الإسلامية. وهو ما يعرف بالمنهج الإسقاطي.

٦- التناقض والتخبط وترديد أغاليط أساتذته المستشرقين حول السيرة.

٧- الاستنتاج الخاطئ من الروايات الصحيحة أو الضعيفة.

٨- الافتراض أو تبني فرضيات أساتذته التي تقوم على نصوص صحيحة أو ضعيفة.

٩- الأخطاء التاريخية التي تقلب الحقائق التاريخية.

١٠- الافتراء على الرسول ﷺ وأصحابه ﷺ، وتزييف الحقائق التاريخية.

ثبت المصادر والمراجع

أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار: الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقي (ت٢٥٠هـ). تحقيق رشدي ملحس، دار الثقافة، بيروت، ومكة المكرمة، ط.٣، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

أسباب النزول: الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري (ت٤٦٨هـ). مطبعة هندية، مصر، ١٣١٥هـ/١٨٩٧م.

الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبدالبر، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد النمري (ت٤٦٣هـ)، بهامش الإصابة لابن حجر.

الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد الكناني (ت٨٥٢هـ). مطبعة السعادة، مصر، ط.١، ١٣٢٨هـ/١٩١٠م.

البداية والنهاية: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق محمد عبدالعزيز النجار، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة، د.ت. ط. دار هجر، بتحقيق الدكتور عبدالله التركي.

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: الذهبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ). مجلد قسم السيرة ومجلد قسم المغازي، تحقيق د. عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط.١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

تاريخ الرسل والملوك[1]: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن زيد (ت٣١٠هـ). دار المعارف، مصر، ط.٤، د.ت.

تاريخ المدينة المنورة: ابن شبة، أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري (ت٢٦٢هـ)، تحقيق فهيم محمد شلتوت، نشر السيد حبيب محمود أحمد، دار الأصفهاني، جدة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، وتحقيق الشيخ/ عبدالله بن محمد بن أحمد الدرويش، دار العليان، بريدة، ط.١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

تقريب التهذيب: لابن حجر، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، دار الكتاب العربي، مصر، د.ت، وتحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، حلب، سورية، ط.١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط.٢، د.ت.

الجامع الصحيح، مع فتح الباري لابن حجر، مراجعة وضبط طه عبدالرؤوف سعد والهراوي والسيد عبدالمعطي، شركة الطباعة الفنية المتحدة، مصر، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

الخصائص الكبرى، السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط.١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

دلائل النبوة: أبو نعيم، أحمد بن عبدالله الأصفهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق الدكتور محمد رواس قلعه جي، وعبدالبر عباس، دار النفائس، بيروت، ط.٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

---

(١) ويعرف كذلك بـ"تاريخ الأمم والملوك".

سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: الصالحي، محمد بن يوسف الصالحي (ت٩٤٢هـ)، تحقيق الدكتور مصطفى عبدالواحد وآخرين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م = ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، محمد ناصر الدين، بيروت، المكتب الإسلامي، ط.٤، ١٣٩٨هـ.

سنن ابن ماجة: ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر العربي، بيروت، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

سنن أبي داود مع معالم السنن للخطابي: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي (ت٣٨٨هـ)، إعداد وتعليق عبيد الدعاس، نشر وتوزيع محمد علي السيد، ط.١، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.

سنن الترمذي: الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة (ت٢٧٩هـ)، أشرف على التعليق والطبع عزت عبيد الدعاس، دار مكتبة دار الدعوة، حمص، سورية، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط.١، ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م.

السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: مهدي رزق الله أحمد، الأستاذ الدكتور، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط.١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ط.٢، دار إمام الدعوة، الرياض، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

السيرة النبوية: ابن هشام، أبو محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت٢١٨هـ)، تحقيق د. همام سعيد ومحمد أبو صعيليك، مكتبة المنار، الأردن، ط.١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

صحيح سنن ابن ماجه: للألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط.٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

صحيح سنن الترمذي: للألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، بيروت، ط.١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

صحيح مسلم: مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

الطبقات الكبرى: ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري (ت٢٣٠هـ)، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني مع بلوغ الأماني في أسرار الفتح الرباني: الساعاتي، أحمد بن عبدالرحمن البنا، دار الشهاب، القاهرة، د.ت.

فضائل الصحابة: تحقيق وصي الله بن محمد عباس، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط.١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

كتاب السنة، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة، ابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني (ت٢٨٧هـ)، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط.٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

كتاب المغازي: الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ)، تحقيق د. مارسدن جونز، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط.١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: الهيثمي: أبو بكر نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت٨٠٧هـ)، دار الكتاب، بيروت، ط.٢، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

المسند: (الموسوعة الحديثية): تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط وآخرين، إشراف د. عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

المسند: ابن حنبل: أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط.٢، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

المسند: تحقيق أحمد محمد شاكر، مصر، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م.

المصنف: عبدالرزاق: ابن هرم بن نافع أبو بكر الصنعاني (ت٢١١هـ. تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط.١، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

المعجم الكبير: الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي، وزارة الأوقاف العراقية، إحياء التراث الإسلامي، العراق، ط.١، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: السمهودي: علي بن عبدالله بن أحمد الحسيني (ت٩١١هـ)، مطبعة الآداب والمؤيد، مصر، ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م.

فهرس الموضوعات

التعريف ببودلي وكتابه " الرسول - حياة محمد " ١
أهداف البحث ٤
المقدمة ٥
١- التشكيك في الوحي ٦
٢- الزعم بأن زيد بن حارثة كان نصرانياً وقبيحاً، تأثر به محمد: ١٥
٣- زعمه أن مراعي ديار بني سعد كانت خصبة ممتدة ٢١
٤- زعمه تحرك غرائز الرسول ﷺ الجنسية في أواخر أيامه ٢٢
٥- الزعم بأن النبي ﷺ كان فاشلاً في التجارة: ٢٨
٦- يزعم أن أتباع محمد ﷺ كانوا في الغالب من التجار المخفقين ٢٩
٧- يزعم بودلي أن غالب أصحاب النبي ﷺ كانوا كذلك من الساخطين على أوضاعهم ٣٨
٨- إهمال التنبيه على التفريق بين مرويات الروافض ومرويات أهل السنة في السيرة النبوية ٣٩
٩- جَعْلُه عدد المهاجرين المسلمين إلى الحبشة مائتي شخص بزعامة عثمان بن عفان رضي الله عنهم، سنة ٦١٥م ٤١
١٠- ترديده فرية الغرانيق ٤٣
١١- إضفاء صفات غير حقيقية على النبي ﷺ وكبار الصحابة (رضي الله عنهم) ٤٤
١٢- المبالغة في صفات بعض أزواج النبي ﷺ ٤٥
١٣- الزعم بأن حب الوحدة هو الغالب على حياته ٤٦
١٤- الزعم بأن الإسلام تأثر باليهودية والنصرانية ٤٨

١٥- الزعم باشتراك غير مسلمين في القتال مع المسلمين يوم بدر ٥٣
١٦- تزييف الحقائق التاريخية في سيرة هند بنت عتبة.................... ٥٤
١٧- ويشوه سيرة والدة عمرو بن العاص ﷺ ٥٧
١٨- يزعم بودلي أن هنداً بنت عتبة رضي الله عنها وعدت وحشياً الحبشي بالعتق إن هو قتل حمزة بن عبدالمطلب................................ ٥٧
١٩- هل كانت مقاطعة الثلاثة الذين خُلفوا مدة شهر ٥٩
٢٠- هل خضعت الطائف للإسلام بالطريقة التي صورها بودلي ٥٩
٢١- هل حكم سعد بن معاذ بالإعدام على بني قريظة لتسببهم في جرحه ... ٦١
٢٢- يزعم بودلي ٦٢
٢٣- زعم بودلي.. ٦٣
٢٤- زعم بودلي.. ٦٣
٢٥- يذكر بودلي... ٦٦
٢٦- يزعم بودلي ٦٧
٢٧- يذكر بودلي... ٦٨
٢٨- يزعم بودلي ٦٨
٢٩- يزعم بودلي ٦٩
٣٠- يزعم بودلي ٧٣
٣١- يزعم بودلي ٧٤
٣٢- يزعم بودلي ٨٠
٣٣- يزعم بودلي ٨٣
٣٥- يزعم بودلي ٨٧
٣٥- يشكك بودلي.. ٩١

٣٦- ويشكك في براءة عائشة رضي الله عنها مما نسب إليها من إفك ٩٢
٣٧- و لم يكتف بودلي بالتشكيك في براءة عائشة رضي الله عنها التي حسمها الوحي قبل الكل، بل نراه يكيل الاتهامات لها ٩٦
٣٨- ويزعم بودلي أن علياً ﷺ شبَّ على الوثنية الهاشمية ١٠٠
٣٩- ولا يؤمن بودلي بالمعجزات كغيره من كثير من المستشرقين ١٠٢
٤٠- يزعم بودلي ١٠٨
٤١- يزعم بودلي ١١٠
٤٢- يقول بودلي ١١٠
٤٣- ويقول: إن خبر بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام الكعبة من أساطير العرب ١١١
٤٥- يقول بودلي ١١٣
٤٥- يقول بودلي ١١٥
٤٦- يُنَصِّب بودلي نفسه مفتياً في حكم الحلال والحرام في الشريعة الإسلامية١١٦
٤٧- ويزعم بودلي بأن محمداً رسول لا نبي........................... ١١٩
٤٨- يذكر بودلي... ١٢١
٤٩- يذكر بودلي أن الرسول ﷺ كان مسترضعاً في بني ساعدة........... ١٢٧
٥٠- يوزع بودلي الشتائم على أصحاب النبي ﷺ بمناسبة وبغير مناسبة..... ١٢٨
خلاصة البحث ١٣٣
ثبت المصادر والمراجع ١٣٤
فهرس الموضوعات ١٣٩

المملكة العربية السعودية
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
بالمدينة المنورة



مزاعم وأخطاء وتناقضات وشبهات

بودلي في كتابه : الرسول ، حياة محمد .

دراسة نقدية

أ. د. مهدي بن رزق الله أحمد

ندوة
عناية المملكة العربية السعودية
بالسنة والسيرة النبوية